الباب الثالث
العلوم المتعلّقة بالألفاظ ودلالاتها

وفيه أحد عشر علماً

1 ــ علم المحكم والمتشابه المعنوي.

2 ــ علم المتشابه اللفظي.

3 ــ علم منطوق القرآن ومفهومه.

4 ــ علم عامُّ القرآن وخاصُّه

5 ــ علم مُجْمَل القرآن ومُبَيَّنُه.

6 ــ علم نَصُّ القرآن وظاهره.

7 ــ علم وجوه القرآن ونظائره (المشترك ودلالته).

8 ــ علم غريب القرآن.

9 ــ علم المُعَرَّب في القرآن.

10 ــ علم لغات القرآن (ما نزل من غير لغة قريش).

11 ــ علم مُبْهَمات القرآن.

1 ــ علم المُحكَم والمُتَشابَه(*)

ذكر الله تعالى أنّ في القرآن آياتٍ مُحْكَمَات، وأُخَر مُتَشابهات، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 7].

من هذه الآية نفهم أن (المُحكم) يُقابِل (المُتَشابَه)، كما أن (الراسخين في العلم) يُقابِلون (الذين في قلوبهم زيغ)، فما تعريف كل منهما؟ وما الحكمة مِن وجوده في القرآن؟

(*) للتوسع في هذا النوع انظر: «**الفهرست**» لابن النديم ص: 39 الفن الثالث من المقالة الأولى: الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، و«**البرهان**» للزركشي 2/ 197، و«**الإتقان**» للسيوطي 3/ 31 – 32 النوع الثالث والأربعون في المحكم والمتشابه، و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 400 علم معرفة المحكم والمتشابه، و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 2/ 1616 علم المحكم والمتشابه من فروع علم التفسير (مقتصراً على العنوان)، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 509 علم معرفة المحكم والمتشابه، و«**مناهل العرفان**» للزرقاني 2/ 166 المبحث الخامس عشر في محكم القرآن ومتشابهه، و«**علوم القرآن الكريم**» للعتر، ص: 120، و«**فهرس الخزانة التيمورية**» ص: 130 – 134، القسم الثامن من التفسير (المتشابه)، و«**معجم الدراسات القرآنية**» لابتسام الصفار من 601 – 605 متشابه القرآن، و«**معجم مصنفات القرآن الكريم**» لعلي الشواخ 4/ 191 – 206، المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، و«**آيات متشابهات حول سيرة النبي الكريم ﷺ**» لحسن الشيخة (مقال في مجلة منبر الإسلام السنة (24) العدد (2) سنة 1386هـ/ 1966م)، و«**موقف الراسخين في العلم من المتشابه**» لمحمد عبد الستار نصار (مقال في مجلة الأزهر السنة (38) العدد (5) 1386هـ/ 1966م)، و«**المتشابه من القرآن**» لمصطفى عبد الواحد (مقال في مجلة الأزهر السنة (38) العدد (5) 1386هـ / 1966م)، و«**دفاع عن العقائد والمثل الإسلامية المحكم والمتشابه**» لمحمد محمد المدني (مقال في مجلة منبر الإسلام السنة (15) العدد (7) 1377هـ/ 1957م)، و«**المتشابه من القرآن**» لمحمد علي حسن الحلبي (طبع بدار الفكر في بيروت (1986هـ/ 1966م) و«**متشابه القرآن**» دراسة لعدنان زرزور (طبع بدار الفتح في دمشق 1930هـ/ 1970م)، و«**البرهان في متشابه القرآن**» دراسة لناصر بن سليمان العمر – انظر أخبار التراث العربي 7/ 24).

تعريف المحكم والمتشابه لغةً:

الإِحْكامُ لُغَةً: الإِتْقانُ البالغ، ومنه البناء المُحْكَم الذي أُتْقِنَ فلا يَتَطَرَّقُ إليه الخَلَلُ أَو الفَساد.

وأما المُتَشَابَه: فهو في أصل اللغة، من الشَّبَه وهو التَّمَاثُل بين شيئين أو أشياء. ولما كان التَّمَاثُل بين الأشياء يُؤَدِّي إلى الشَّكِّ والحِيرَةِ، ويوقِع في الالتباس توسَّعوا في اللفظ، وأطلقوا «مُتَشابَه» و«مُشْتَبَه» على كل ما غَمُضَ ودقَّ.

وبناء على الإطلاق اللغوي للمحكم والمتشابه، وهو إطلاق شامل واسع، فإنَّ بوسعنا أن نفهم استعمال القرآن هذين اللفظين بإطلاقات متعددة ولِمَعَانٍ مُتنوعة، وُصِفَ فيها القرآن بالإحكام ووُصِف بالتشابه:

لقد جاء وصف القرآن كله بالإحكام في أكثر من موضع من القرآن، قال تعالى في أول سورة هود: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود: 1-2].

فوصف الله تعالى القرآن بأنه ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم الشأن جليل القدر، وعبر بالإحكام في قوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ عن الإتقان للإشارة إلى أنه متكامل العظمة من الناحية الإيجابية بإتقانه البالغ، نظماً ومعنى ومن الناحية السلبية فلا يتطرّق إليه دخل ولا خلل ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فصلت: 42].

كذلك وُصِفَ القرآنُ كلُّه بأنه مُتَشابه، في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: 23].

فقد جاء مدح القرآن هنا بأنه ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في الحُسْنِ والإعجاز، ويُصَدِّق بَعْضُه بعضاً ﴿مَّثَانِيَ﴾ يُرَدَّدُ فيه القَوْلُ، أو يُذْكَر الشَّيْءُ وضِدُّه، كَذِكْرِ المُؤمنين ثم الكافرين، وكَصِفَةِ الجَنّة ثم صِفَةِ النار، وهكذا...

المُحْكَم والمُتَشَابه اصطلاحاً:

تعدَّدت الآراء في التعريف الاصطلاحي للمُحْكَم والمُتَشابَه المَذْكُورَيْن في آية آل عمران، إلى ترجيح الإمام الطيبي (ت 743 هـ):

المُحْكَم: هو الواضح المعنى الذي لا يَتطَرَّق إليه إشكال.

والمُتَشَابَه: هو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المُراد منه[1].

فإنَّ سيَاق الآية يؤيِّد هذا؛ لأنه تعالى جعل المُحْكم مُقابِلاً للمُتَشَابه، فينبغي أن يُفَسَّر بما يقابِلُه، وأشار إلى أن المُتَشَابَه يحتاج إلى تأويل، ويكون تأويله بِرَدِّه إلى الآيات الأمُّ فيه، أي المَرْجِع والأَصْل الذي يجب التعويل عليه، وهو المُحْكَم.

ومن أمثلة المتشابه آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] وأمثالها.

هل يمكن تفسير المُتَشَابَه:

وبالنظر لغموض المُتَشَابَه، وخُطورة البحث فيه، لكونه بحثاً في كلام الله تعالى، اختلفت الآراءُ فيه، هل هو ممّا يمكن الاطّلاع على علمه؟ أو لا يمكن الاطلاع على علمه، ولا يعلمه إلا الله.

وقد أرجعوا السبب في هذا الاختلاف إلى الاختلاف في الوقف في قراءة آية آل عمران السابقة وقوله تعالى فيها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7].

فذهب بعض أهل العلم إلى أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه، وفسَّروا الآية على أن قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله ﴿يَقُولُونَ﴾ في محل نصب حال، ولا يقف هؤلاء على لفظ الجلالة: بل على قوله ﴿رَبِّنَا﴾. والمعنى أن الله هو الذي يعلم تأويله وكذا الراسخون في العلم حال كونهم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، وتكون الآيةُ دالّةً على أن الراسخين في العلم، أي الثابتين المُتَمَكِّنين فيه، يعلمون تأويله.

وذهب كثير من أئمة العلماء المُتَقَدِّمين والمُتأخِّرين إلى أن المُتَشَابَه لا يَطَّلع على علمه إلّا الله تعالى، واستدلّوا بالآية نفسها كذلك وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾

(1) انظر رأي الطيبي في «**الإتقان**» 2/ 4.

نهاية الكلام السابق والوقوف في القراءة عليه، وقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ في محلّ رفع خبر، والمعنى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم استأنف: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، أي كُلٌّ من المُحْكَم والمُتَشَابَه مِنْ عِنْدِ ربنا تبارك وتعالى، لا نُفَرِّق بينهما في الإيمان والخضوع، وكل واحد منهما يُصَدِّق الآخر، وليس شيء من عند الله بمُخْتَلِف ولا بِمُتَنَاقِض.

وقد وردت آثار تشهد لهذا الرأي، منها ما أخرجه عبد الرزاق والحاكم في «**المستدرك**» عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: 7] (1).

فهذا خبر بإسناد صحيح إلى تَرْجُمَان القرآن يدل على أنه يفسر الآية هكذا، وهو دليل على أن الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للاستئناف.

ويؤيد ذلك أن الآية دلَّت على ذَمّ مُتَّبِعِي المُتَشَابَه، وعلى مدح الذين فَوَّضُوا العلمَ إلى الله وسَلَّموا إليه، كما مدح المؤمنين في مواضع كثيرة بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

التحقيق في المسألة:

ونحن إذا أمعنّا النظر في الموضوع من أصله، وبحثنا منطلقات الفريقين نجد أنهما متقاربان، وأن الخلاف ليس جوهرياً، وإنما هو خلاف فرعي ناشيء عن اختلافهم في حقيقة المتشابه.

وذلك أن الذين قالوا لا يَعْلَم المتشابه إلا الله، أدخلوا في المتشابه قضايا من الغيب مثل قيام الساعة، وخروج الدجال، وحقائق العوالم الأخرى. بل إنَّ منهم مَن قَصَرَ المُتشابه على هذه القضايا ونحوها من مُبْهَمات القرآن.

وهذه أمور قد استأثر الله بعلمها، لا خلاف في ذلك بينهم إطلاقاً.

وأما الذين قالوا: إنّ الراسخين في العلم يعلمون المتشابه، فلم يُدْخلوا فيه هذه القضايا، فبقي الموضوع في إطار ما يمكن بحثه لهذه النخبة من أئمة العلم والدين.

---

(1) «**الإتقان**» 2/ 3، وانظر «**الطبري**» 6/ 202، و«**ابن كثير**» 2/ 8.

وثمَّة أمر آخر له أثره في اختلاف الآراء، هو تحديد حقيقة (التأويل)، أو بعبارة أخرى المدى الذي يبلغه التأويل، وفي هذا يقول الإمام المفسر ابن كثير (ت 774 هـ)[1]: «ومن العلماء من فصّل في هذا المقام فقال: (التأويل) يُطلق ويراد به في القرآن معنيان:

أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يَؤُولُ أَمْرُه إليه... ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ [الأعراف: 53] أي حقيقة ما أُخْبِرُوا به من أمر المَعَاد، فإن أُرِيد بالتأويل هذا فالوقف على اسم الجلالة: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، لأن حقائق الأمور وكُنهها لا يعلمه على الجَلِيّة إلّا الله ﷻ.

وأما إنْ أُرِيد بالتأويل **المعنى الآخر** وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء، كقوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: 36] أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإنْ لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه».

كيف نُفسر المتشابهات:

لما كانت المتشابهات تقع في القرآن الكريم في موضوعات متعددة فإنها تنقسم إلى أكثر من قسم نكتفي منها هنا بأهم ما يجب على دارس القرآن، وهو متشابه الصفات:

متشابه الصفات:

المراد من «متشابه الصفات» الآيات المشكلة الواردة في شأن الله تعالى، مما قد يُوهِم من لم يَتَمَعَّن الكلام تشبيهاً لله تعالى بخلقه، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5]، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وغير ذلك، وتُسَمَّى أيضاً «آيات الصفات».

وقد اختلفت الآراء في هذه المسألة بما يمكن حصر المقبول منه في هذين المذهبين المشهورَيْن:

المذهب الأول: مذهب السَّلَف، وهم أهل السُنَّة والجماعة قبل القرن الثالث الهجري، وهو تفويض علم حقيقة معاني هذه المتشابهات إلى الله وحده، مع اعتقاد

(1) في «تفسيره» 2/ 8.

تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة في حقه تعالى.

واستدلّوا لمذهبهم بأدِلّة من النقل والعقل:

أما أدِلّة النقل فمنها حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في الآية السابقة: «**فإذا رأيت الذين يَتَّبِعُون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم**» متفق عليه[1].

وعن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثُرَ عليهم المالُ فَيَتَحاسَدُوا فَيَقْتتِلُوا، وأن يُفْتَحَ لهم الكتابُ فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾**،» أخرجه الطبراني[2].

وكذلك سار الصحابة والتابعون، فقد تركوا الاشتغال بتأويل المُتشابه، وفوَّضوا علم حقيقته إلى الله تعالى، مع اعتقاد تنزيههن عن التعطيل والتشبيه والتجسيم.

وأما دلالة العقل فلأن تعيين المراد من هذه المتشابهات إنما يكون بتأويل نتَّبِعُ فيه قَواعِدَ اللغة وأسلوب العرب، وهي لا تفيد العلم اليقيني القاطع، بل قد تحتمل أكثر من وجه، وصفات الله تعالى من العقائد لا بد فيها من اليقين، لذلك نَتَوَقَّف، ونُفَوِّض إلى الله تعالى.

ومن هنا قالوا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5] المراد معنى يليق بجلاله تعالى لا يشبه صفاتنا، الله أعلم بحقيقته، وكذلك يقولون في غير ذلك.

المذهب الثاني: مَذْهَبُ الخَلَفِ ـ وهو أهل السنة والجماعة بعد القرن الثالث الهجري ـ: وهو تأويل هذه الآيات بما يناسب استعمالات اللغة مما يليق بكمال الله تعالى وتَقَدُّسه.

فيفسّرون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ بأن المراد: استولى مثلاً و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] بمعنى القدرة، وهكذا...

ودليلهم أنه لما استحال أن يكون المعنى الظاهري مُراداً، كان دليلاً على أن المراد هو معنى مجازي، فَنُفَسِّره وِفْقَ ما يُفَسَّر به كلام العرب؛ لأن القرآن عربي، كما

(1) البخاري في «التفسير» 6/ 34، ومسلم في «العلم» 8/ 56.
(2) «**الإتقان**» 2/ 3، وسنده منقطع كما في «**مجمع الزوائد**» 1/ 128.

صرَّح القرآن بذلك في مواضع كثيرة، فيجب الاعتماد على منهج فهم كلام العرب.

وبالنظر في حقيقة الأمر نجد بين المذهبين اتفاقاً في جوهر المسألة وأساسها، وهو:

1 ـ الاعتماد فيها على الآيات المحكمات، التي سمّاها الله تعالى: ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الأصل والمرجع، وهي قاطعة في تنزيه الله عن مشابهة الخلق.

2 ـ صرف هذه النصوص عن ظواهر ألفاظها اللغوية المستحيلة، واعتقاد أن هذه الظواهر الموهمة للتشبيه غير مُرادة قطعاً، فالفريقان إذن متفقان في جوهر القضية، غاية الأمر أن السلف اكتفوا بالإجمال، وهو اعتقاد التنزيه عن هذه الظواهر، لكن دون تعيين التأويل المُراد، أما الخلف فقد خَطَوْا خُطْوَة ثانية وهي تفسير تلك النصوص حسبما يتبادر منها وفق استعمالات كلام العرب.

مذهب ثالث: وقد تاه أقوام متأخرون في فهم مذهب السَّلَف الصالح حين حرّفوه، وأتوا في تعريفهم به بعبارة مُوهِمَة فقالوا: «إن المراد من هذه الآيات المتشابهة في الصفات هو معناها الحقيقي على وجه يليق به تعالى». وهذا تعبير مُنْتَقَد من حيث اللفظ والمعنى:

أما انتقاده من حيث اللفظ فلأن السلف لم يأتوا بكلمة «حقيقة»، وهذا باب دقيق يجب التقيُّد فيه بالعبارات المنقولة تماماً، فكيف نقحم على كلامهم ما لم يقولوا؟!

وأما انتقاده من حيث المعنى: فلأن قولهم «المراد معناها حقيقة» يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه، وقولهم «على وجه يليق به» ينافي ذلك، فصارت العبارة متناقِضَةً مُوهِمَة، حتى وجدنا كثيراً مِمّن نظر في كلام أصحاب هذا الرأي أو اعتقده يتّجه فهمه إلى التشبيه من حيث لا يشعر.

وإنّ مَنْ نظر في سياق تلك الآيات الواردة من متشابهة الصفات وتَمَعَّن في الغرض الذي سيقت له، علم بُعْدَها عن إرادة المعنى الظاهري، واستحالة تفسيرها به.

تأمّل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 73]. وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ [الملك: 1]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: 64]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]، تعلم أن هذه الآيات وردت في مقام بيان قدرته تعالى، ووردت فيها اليَدُ مُفْرَدَةً ومُثَنَّاة، وجَمْعاً، مما يدلّ على استحالة إرادة المعنى الظاهري.

وحسبنا في هذا كلام الإمام الحافظ السَّلَفِي ابن كثير (ت 774 هـ)، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 73][1]: (أي الأمور كلها تحت تصريفه، وهو المعطي المانع، يَمُنّ على مَن يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام...).

وقال في تفسير آية: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10][2]: (أي هو حاضر معهم، يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى المبايع بواسطة رسول الله ﷺ).

وقال في آية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: 64][3]: (أي بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما مِنْ شيء إلا عِنْدَه خَزَائِنُه).

وهكذا الشأن في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: ما ورد هذا التعبير إلا في مناسبة بيان عظمة سلطانه تعالى، وأنه هو وحده المتصرّف في الأكوان بقهره وجبروته كالأمثلة التالية:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54].

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: 5-6].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: 4].

وقال في آية الأعراف[4]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: 54]. «وإنما يُسْلَكُ في هذا

---

(1) «تفسير ابن كثير» 2/ 49.
(2) «تفسير ابن كثير» 7/ 312.
(3) «تفسير ابن كثير» 3/ 138.
(4) «تفسير ابن كثير» 3/ 422 وكذا قال في تفسير آية (2) من الرعد 4/ 352. «يُمَرَّر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، تعالى الله عُلواً كبيراً».

المقام مَذْهَبُ السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهرُ المتبادِرُ إلى أذهان المشبهين مَنْفِيٌّ عن الله، فإن الله لا يُشْبهه شيءٌ من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وهكذا سائر الآيات يفسرها أئمة السلف الصالح ﷺ على هذه الطريقة[1].

متى يُلجأ للتأويل؟

وقد اتفقوا على وجوب تأويل الآيات الواردة في متشابه الصفات في بعض الأحوال مثل:

1 ـ أن يكون للمتشابه تأويل واحد يفهم منه فهماً قريباً، فيجب القول به إجماعاً، وذلك كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، فهذه الآية ليس لها إلّا تأويل واحد، هو الكينونة مع الخلق بالإحاطة بهم علماً وسمعاً وبصراً وقدرة وإرادة.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: «أي رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء...»[2].

2 ـ أنه إذا توقّف الدفاع عن الإسلام على التأويل لهذه المُتَشابِهَات، وَجَبَ تأويلُها بما يدفع شبهات المشتبهين وَيُرِدّ طَعْنَ الطاعِنين[3].

ونقول أيضاً: إنه إذا خِيف من ترك التأويل سوءُ فهم الناس ووقوعُهم في الزيغ، وجب التأويلُ والأخذُ بمذهب الخَلَفَ، وما أكثر ما يُحتاج إليه في هذا الزمن الذي قَلَّ فيه العلم وكثر الجهل، وشاعت في أوساط المتعلمين أساليب التفكير العامِّيّة، وطُرُق التَّصَوُّر السطحية.

---

(1) انظرها في مواضعها من «**تفسير ابن كثير**».

(2) 8/ 34.

(3) انظر هاتين المسألتين في «**مناهل العرفان**» 2/ 182.

لماذا ورد المُحكم والمتشابه في القرآن؟

لقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحِكَم والأسرار الكامنة في ورود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في هذه العبارة: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ [آل عمران: 7].

فتضمَّن هذا النصُّ حِكَماً عِلْمِيّة وعَمَلِيّة توسَّع العلماء في بحثها، نورد نُبَذاً منها فيما يلي:

أولاً: أن الله سبحانه احتجَّ على العرب بالقرآن، إذ كان فَخْرُهُمْ ورياستهم بالبلاغة وحُسْن البَيان، والإيجاز والإطناب، والمجاز والكناية، والإشارة والتلويح، وهكذا فاشتمل القرآن كذلك على هذه الفنون.

ثانياً: أنزله الله سبحانه اختباراً، ليقف المؤمن عنده، ويَرُدَّه إلى عالِمِهِ، فَيَعْظُمَ به ثوابُه، وَيَرْتَابَ به المُنافِقُ فَيَسْتَحِقَّ العقوبة، ولم يَضُرُّهم جَهْلُها، ولو افتقروا إلى علمه لم يَطْوِه عنهم، كما اخْتَبَر قومَ طالوت بالماء فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: 249]، فكما جاز ترك الأغراض في هذا، وأن لا يقال ما العلة في هذا، فكذلك يُؤْمَرَ بالمُتشابَه، ولا يقال: لِمَ لَمْ يكشفْ معانيها ولم يوضحها؟

ثالثاً: أنزل المتشابه لتشغل به قلوب المؤمنين، وتتعب فيه جوارحهم وتنعدم في البحث عنه أوقاتُهم، ومُدَدُ أعْمارِهِم، فَيَحُوزوا من الثواب حسبما كابدوا من المشقّة، والأثرة له على غيره مما يعمل لربه، كما تَعَبَّدَهُم بالصلوات، والصيام، والحجّ مِنَ المَنازِل، إلى بَلَدٍ لم يكونوا بالغِيهِ إلّا بِشِقِّ الأنفُسِ، وغيرها من الشرائع.

وهكذا كانت المُتشابهات مَيْدان سباق تنقدح فيه الأفكار والعلوم لما ذكرنا من الحكم في ورودها في القرآن[1]، ووسيلة اختبار يظهرُ فيها المؤمنُ من الزائغ، فلا يخوض فيها إلا كُل زائغ، من أجل ذلك نرى كثيراً من أهل الفِرَق الضالّة اليوم لا تخوض إلا في متشابه القرآن.

---

(1) عن مقدمة كتاب «**المباني**» ص: 177 – 182، وانظر «**مشكل القرآن**» للإمام ابن قتيبة ص: 63، و«**مناهل العرفان**» 2/ 178 – 181.

2 ــ علم المُتشابَه اللَّفْظِي(*)

وهو إيراد القصة الواحدة في صُوَرٍ شَتَّى وفواصلَ مختلفة، ويكثُر في إيراد القصص والأنباء، وحكمتُه التصرُّف في كلام العرب وإتيانه على ضُروب؛ لِيُعْلِمَهُمْ عَجْزَهُم عن جميع طُرُق ذلك: مُبْتَدَأً به ومُتَكرِّراً، وأكثر أحكامه تثبت من وجهين، فلهذا جاء باعتبارين. وفيه:

المبحث الأول: باعتبار الإفراد

وهو على أقسام:

الأول: ان يكون في موضعٍ على نظمٍ، وهو في آخرَ على عكسه

وهو يشبه ردَّ العَجز على الصَّدْر؛ ووقع في القرآن منه كثير، مثاله:

ففي «البقرة»: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58]، وفي «الأعراف»: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: [الآية: 161].

في «البقرة»: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [الآية: 62]. وفي «الحج»: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الآية: 17].

(*) للتوسع انظر: «**الفهرست**» لابن النديم ص: 39، الفن الثالث من المقالة الأولى: الكتب المؤلفة في متشابه القرآن. و«**فنون الأفنان**» لابن الجوزي 376، أبواب المتشابه، و«**البرهان**» للزركشي 2/ 202، و«**الإتقان**» للسيوطي 3/ 339، النوع الثالث والستون و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 482. علم معرفة الآيات المشتبهات. و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 1/ 203 – 204 علم الآيات المتشابهات، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 478، علم متشابه القرآن، و2/ 492 علم معرفة الآيات المشتبهات و«**فهرس الخزانة التيمورية**» ص: 13 – 34، و«**معجم الدراسات القرآنية**» لابتسام الصفار ص: 601 – 605، متشابه القرآن. و«**معجم مصنفات القرآن الكريم**» لعلي شواخ 4/ 191، متشابه القرآن. وانظر مقدمة كتاب «**فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**» للشيخ زكريا الأنصاري تحقيق د. عبد السميع محمد أحمد حسنين.

في «البقرة»: [الآية:120]. وفي «الأنعام»: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 71]. وفي «آل عمران»: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 73].

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان

مثاله في «البقرة»: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [6]، وفي «يس»: ﴿وَسَوَآءٌ﴾ [الآية:10]، بزيادة «واو»، لأن ما في «البقرة» جملةٌ هي خبرٌ عن اسم «إنّ»، وما في يس [17/أ] جملةٌ عُطفت بالواو على جملةٍ.

وفي «البقرة»: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية:23]، وفي غيرها بإسقاط ﴿مِنْ﴾ لأنها للتبعيض؛ ولما كانت سورة البقرة سَنَام القرآن وأوّلهُ بعد «الفاتحة» حَسُن دخُول ﴿مِنْ﴾ فيها؛ ليُعلَم أن التحدّي واقعٌ على جميع القرآن من أوّله إلى آخره، بخلاف غيرها من السُّوَر، فإنه لو دخلها ﴿مِنْ﴾ لكان التحدّي واقعاً على بعض السُّوَرِ دونَ بعض؛ ولم يكن ذلك بالسَّهل.

قالوا: وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء، إلا قوله تعالى في «طٰه»: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [الآية: 105]؛ لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال، وفي طٰه كانت قبل السؤال، وكأنه قيل: «إن سئلت عن الجواب فقل».

الثالث: بالتقديم والتأخير

وهو قريب من الأول، ومنه في «البقرة»: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 129] مؤخر، وما سواه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2].

ومنه تقديم اللَّعِب على اللهو في موضعين من سورة الأنعام [الآية: 32]، وكذلك في «القتال» [محمد: 36]، و«الحديد» [الآية: 20].

وقدّم اللَّهْوَ على اللعب في «الأعراف» [الآية: 51]، و«العنكبوت» [الآية: 64]، وإنما قدم اللعب في الأكثر؛ لأن اللعب زمان الصبا، واللهو زمان الشباب، وزمانُ الصبا متقدم على زمان اللهو.

الرابع: بالتعريف والتنكير

كقوله في «البقرة»: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 61] وفي «آل عمران»: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 112].

وقوله في «البقرة»: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [الآية: 126]، وفي سورة «إبراهيم»: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [الآية: 35]؛ لأنه للإشارة إلى قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: 37]؛ ويكون ﴿بَلَدًا﴾ هنا هو المفعول الثاني، و«آمناً» صفته، وفي «إبراهيم»: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ مفعول أول، و﴿ءَامِنًا﴾ الثاني.

وقوله في «آل عمران»: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية: 126]، وفي «الأنفال»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 10].

الخامس: بالجمع والإفراد

كقوله في سورة «البقرة»: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [الآية: 80] وفي «آل عمران»: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية: 24]؛ لأن الأصل في الجمع إذا كان واحدُه مذكراً أن يُقتصر في الوصف على التأنيث نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: 13 - 16] فجاء في «البقرة» على الأصل، وفي «آل عمران» على الفرع.

السادس: إبدال حرف بحرف غيره

كقوله تعالى في «البقرة»: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [الآية: 35] بالواو، وفي «الأعراف»: ﴿فَكُلَا﴾ [الآية: 19] بالفاء، وحكمه أن ﴿ٱسْكُنْ﴾ في «البقرة» من السكون الذي هو الإقامة. فلم يصلح إلا بالواو؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة. والذي في «الأعراف» من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكناً، فكانت الفاء أولى، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعِي زمناً متجدداً، وزاد في «البقرة»: ﴿رَغَدًا﴾ لما في الخبر تعظيماً بقوله: ﴿وَقُلْنَا﴾، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها: ﴿قَالَ﴾ وذهب قوم إلى أن ما في «الأعراف» خطابٌ لهما قبل الدخول، وما في «البقرة» بعد الدخول.

ومنه قوله تعالى في «البقرة»: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟﴾ [الآية: 58] بالفاء، وفي «الأعراف» [الآية: 161] بالواو.

في «البقرة»: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية: 120]، ثم قال بعد ذلك: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ﴾ [الآية: 145].

السابع: إبدال كلمة بأخرى

في «البقرة»: ﴿مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [الآية: 170]، وفي «لقمان»: ﴿وَجَدْنَا﴾ [الآية: 21].

في «البقرة»: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [الآية: 60]، وفي «الأعراف»: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الآية: 160].

في «البقرة»: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 36]، وفي «الأعراف»: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 20].

الثامن: الإدغام وتركه

في «النساء» [الآية: 115]، و«الأنفال» [الآية: 13] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾. وفي «الحشر» [الآية: 4] ﴿وَمَن يُشَآقِّ﴾ بالإدغام. في «الأنعام»: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الآية: 42]، وفي «الأعراف»: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ [الآية: 94] بالإدغام.

المبحث الثاني: ما جاء على حرفين:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في القرآن، اثنان في «البقرة» [الآية: 219 و266].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، اثنان في «يونس» [الآية: 60] و«النمل» [الآية: 73].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ اثنان: في «البقرة» [الآية: 235] و«آل عمران» [الآية: 155]، وأما ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الآية: 225] فواحدة في «البقرة». وكذلك فيها: ﴿غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [الآية: 263]، وليس غيره.

﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حرفان، في «الزخرف» [الآية: 84] وفي «الذاريات» [الآية: 30].

المبحث الثالث: ما جاء على ثلاثة حروف

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثة في القرآن، في «الروم» [الآية: 9]، و«فاطر» [الآية: 44]، و«المؤمن» [الآية: 21].

﴿فَنَجَّيْنَهُ﴾ بالفاء، في «يونس» [الآية: 73]، و«الأنبياء» [الآية: 76]، و«الشعراء» [الآية: 170].

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ثلاثة في «الأعراف» [الآية: 3]، و«النمل» [الآية: 62]، و«الحاقة» [الآية: 42].

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ اثنان في «الأعراف» [الآية: 26 و130]، والثالث في «الأنفال» [الآية: 57].

المبحث الرابع: ما جاء على أربعة حروف

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بتكرير ﴿مَن﴾ في «يونس» [الآية: 66]، و«الحج» [الآية: 18]، و«النمل» [الآية: 87]، و«الزمر» [الآية: 68].

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في «المائدة» اثنان، [الآيتان: 17 و18]، في «صٓ» [الآية: 10] وآخر «الزخرف» [الآية: 85].

﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بإسقاط (من) في «بني إسرائيل» ـ الإسراء ـ [الآية: 77] و«الأنبياء» [الآية: 7] و«الفرقان» [الآية: 20]، و«سبأ» [الآية: 44].

المبحث الخامس: ما جاء على خمسة حروف

﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في «الأنعام» ثلاثة [الآيات: 83 و128 و139]، والرابع في «الحجر» [الآية: 25]، والخامس في «النمل» [الآية: 6].

﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في «الأنفال» اثنان [الآيتان: 4 و74]، وفي «الحج» [الآية: 50]، و«النور» [الآية: 26]، و«سبأ» [الآية: 4].

الأرض قبل السماء في «آل عمران» [الآية: 5]، و«يونس» [الآية: 61]، و«إبراهيم» [الآية: 38]، و«طه» [الآية: 4]، و«العنكبوت» [الآية: 22].

المبحث السادس: ما جاء على ستة حروف

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ في «الأنعام» [الآية: 99]، و«النحل» [الآية: 79]، و«النمل» [الآية: 86]، و«العنكبوت» [الآية: 24]، و«الروم» [الآية: 37]، و«الزمر» [الآية: 52].

﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ منها بواو واحدٌ في «النساء» [الآية: 13] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وفي «المائدة» [الآية:119]، ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ومثله في «التوبة» موضعان [الآيتان:89 و100]، وفي «الصف» [الآية:12]، و«التغابن» [الآية:9].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ بالفاء، في «الأنعام» موضعان [الآيتان:144 و157]، و«الأعراف» [الآية:37]، و«يونس» [الآية:17]، و«الكهف» [الآية:15]، و«الزمر» [الآية:32].

المبحث السابع: ما جاء على سبعة حروف

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في «البقرة» [الآية: 221]، و«إبراهيم» [الآية: 25]، و«القصص» ثلاثة مواضع [الآيات: 43 ـ 46 ـ 51]، و«الزمر» [الآية: 27] و«الدخان» [الآية: 58].

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في «مريم» [الآية: 65]، و«الشعراء» [الآية: 24]، و«الصافات» [الآية: 5]، و«ص» موضعان [الآيتان: 10 ـ 66] و«الزخرف» [الآية: 85]، و«الدخان» [الآية: 7].

«المرأة» مكتوبة بالتاء في سبعة مواضع؛ في «آل عمران» [الآية: 35]، وفي «يوسف» موضعان [الآيتان: 30 ـ 51] ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾، وفي «القصص». ﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 9]، وفي «التحريم» ثلاثة مواضع [في الآية 10 موضعان و11].

المبحث الثامن: ما جاء على ثمانية حروف

النفع قبل الضر في «الأنعام» [الآية: 71]، و«الأعراف» [الآية: 188]، و«يونس» [الآية: 106]، و«الرعد» [الآية: 16]، و«الأنبياء» [الآية: 66]، و«الفرقان» [الآية: 55]، و«الشعراء» [الآية: 73]، و«سبأ» [الآية: 42].

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بتاء في «الرعد» [الآية: 19]، و«طٰه» [الآية: 44]، و«الملائكة» [فاطر: 37]، و«صٓ» [الآية: 29]، و«الزمر» [الآية: 9]، و«المؤمن» [الآية: 13]، و«النازعات» [الآية: 35]، و«الفجر» [الآية: 23].

المبحث التاسع: ما جاء على تسعة حروف

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بغير تكرار ﴿مَنْ﴾ في «آل عمران» [الآية: 83]، و«الرعد» [الآية: 16]، وفي «بني إسرائيل» [الإسراء: 55]، و«مريم» [الآية: 93]، و«الأنبياء» [الآية: 19]، و«النور» [الآية: 41]، و«النمل» [الآية: 65]، و«الروم» [الآية: 26]، و«الرحمٰن» [الآية: 29].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم في «الأنعام» [الآية: 37]، و«الأعراف» [الآية: 131]، و«الأنفال» [الآية: 34]، و«يونس» [الآية: 55]، و«القصص» موضعان [الآيتان: 13 ـ 57]، و«الزمر» [الآية: 49]، والذي ذكره في «الدخان» [الآية: 39]، و«الطور» [الآية: 47].

﴿يَكُ﴾ بالياء من غير نون بعد الكاف في «الأنفال» [الآية: 53]، و«التوبة» [الآية: 74]، و«النحل» [الآية: 120]، و«مريم» [الآية: 67]، و«المؤمن» موضعان [الآيتان: 28 ـ 85]، وفي «المدثر» موضعان [الآيتان: 43 و44] بالنون في أوله وفي «القيامة» ﴿أَلَّمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ [الآية: 37].

المبحث العاشر: ما جاء على عشرة حروف

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو: في «هود» [الآية: 58 ـ 77 ـ 94]، و«يوسف» [الآيات: 22 ـ 58 ، 65 ، 68 ، 69 ، 94]، وفي غيرهما بالفاء: في «هود» [الآيات: 66 ـ 70 ـ 74 ـ 82] أربعة أحرف،

وفي «يوسف» تسعة [الآيات: 15 ـ 28 ـ 31 ـ 50 ـ 63 ـ 70 ـ 80 ـ 88 ـ 96].

﴿أَن لَّآ﴾ تكتب في المصحف بالنون منفصلة عشرة: في «الأعراف» موضعاً [الآيتان: 105 ، 169]، و«التوبة» [الآية: 118]، وفي «هود» موضعان [الآيتان: 14 ـ 26]، و«الحج» [الآية: 26]، و«يسّ» [الآية: 60]، و«الدخان» [الآية: 19]، و«الممتحنة» [الآية: 12]، و«القلم» [الآية: 24].

المبحث الحادي عشر: ما جاء على أحد عشر حرفاً

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: في «التوبة» [الآية: 72] و«الرعد» [الآية: 23]، و«النحل» [الآية: 31]، و«الكهف» [الآية: 31]، و«مريم» [الآية: 61]، و«طٰه» [الآية: 76]، و«الملائكة» [الآية: 33] و[صٓ: 50]، و«المؤمن» [الآية: 8]، و«الصف» [الآية: 12]، و«لم يكن» [البينة: 8].

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: في «البقرة» [الآية: 116]، و«النساء» [الآية: 170]، و«الأنعام» [الآية: 12]، و«يونس» [الآية: 55]، و«النحل» [الآية: 52]، و«النور» [الآية: 64]، و«العنكبوت» [الآية: 52]، و«لقمان» [الآية: 26]، و«الحديد» [الآية: 1]، و«الحشر» [الآية: 24]، و«التغابن» [الآية: 4].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ في «النساء» ثلاثة مواضع [الآيات: 57 ، 122 ، 169]، و«المائدة» [الآية: 119]، و«التوبة» موضعان [الآيتان: 22 ، 100]، و«الأحزاب» [الآية: 65]، و«التغابن» [الآية: 9]، و«الطلاق» [الآية: 11]، و«الجن» [الآية: 23]، و«البرية» [البينة: 8].

المبحث الثاني عشر: ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ ليس فيها «خالدين» في «البقرة» موضعان [الآيتان: 25 ، 266]، و«آل عمران» [الآية: 195]، و«المائدة» [الآية: 12]، و«الرعد» [الآية: 35]، و«النحل» [الآية: 31]، و«الحج» موضعان [الآيتان: 14 ، 23]، و«الفرقان» [الآية: 10]، و«الزمر» [الآية: 20]، و«القتال» [محمد: 12]، و«الفتح» [الآية: 5]، و«الصف» [الآية: 12]، و«التحريم» [الآية: 8]، و«البُرُوج» [الآية: 11].

﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، بالتوحيد في «البقرة» [الآية: 164]، و«الأعراف» [الآية: 96]،

و«يونس» [الآية: 31]، و«الأنبياء» موضعان [الآيتان: 4 ، 16]. وفي «الحج» [الآية: 70]، و«النمل» موضعان [الآيتان: 64 ، 75]، و«الروم» [الآية: 25]، و«سبإ» [الآية: 9]، و«الملائكة» [فاطر: 3]، و«صّ» [الآية: 27]، و«الدخان» [الآية: 29]، و«الذاريات» [الآية: 23]، و«الحديد» [الآية: 21].

المبحث الثالث عشر: ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿أَكُ﴾ ﴿نَكُ﴾ و﴿يَكُ﴾ و﴿تَكُ﴾ بحرف المضارعة في أولها، وبغير نون في آخرها. في «النساء»: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ [الآية: 40].

و«الأنفال»: ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ [الآية: 53]. وفي «التوبة»: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 74]. وفي «هود» موضعان: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ و﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآيتان: 17، 109]. وفي «النحل» موضعان: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ و﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ [الآيتان: 120، 127]. وفي «مريم»: ثلاثة مواضع: [الآيات: 9 ، 20 ، 67]، وفي «لقمان» [الآية: 16]، و«غافر»، أربع مواضع: [الآية: 28، مرتان، الآيتان: 50 ، 85]، وفي «المدثر» موضعان [الآيتان: 43 ، 44]، وفي «القيامة» [الآية: 37].

المبحث الرابع عشر: ما جاء على عشرين وجهاً

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ على التوحيد: في «البقرة» [الآية: 248]، و«آل عمران» [الآية: 49]، و«هود» [الآية: 103]، و«الحجر» [الآية: 77]، وفي «النحل» خمسة أحرف بالتوحيد [الآيات: 11، 13، 65، 67، 69]، وفي «الشعراء» ثمانية [الآيات: 8، 67، 103، 121، 139، 158، 174 ، 190]، وفي «النمل» [الآية: 52]، و«العنكبوت» [الآية: 44]، و«سبإ» [الآية: 9].

المبحث الخامس عشر: ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿نَزَلَ﴾ و﴿نَـزَّلَ﴾ و﴿نُزِّلَ﴾

في «البقرة»: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 176]، وفي «آل عمران»:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 3]. وفي «النساء» موضعان: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 136]، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 140]. وفي «الأنعام»: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: 37]. وفي «الأعراف» موضعان: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية: 71]، ﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 196]. وفي «الحجر»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الآية: 6]. وفي «النحل»: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 44]. وفي «بني إسرائيل»: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الآية: 105]. وفي «الفرقان» ثلاثة مواضع: أوّلها ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 1]، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الآية: 25]، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية: 32]. وفي «الشعراء»: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الآية: 193]. وفي «العنكبوت»: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 63]، وليس في القرآن ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ بزيادة «من» غيره. وفي «الصافات»: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ [الآية: 177]. وفي «الزمر»: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية: 23]. وفي «الزخرف» موضعان: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية: 31]، ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [الآية: 11]. وفي «القتال» موضعان: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [الآية: 2]، ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ﴾ [الآية: 26]. وفي «الحديد»: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 16]. وفي «تبارك»: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 9].

ما أُلّف فيه:

وقد صنّف فيه جماعة، ونَظَمَهُ السّخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد (ت 643 هـ) في أُرْجُوزة سمّاها: «**هِدايَة المُرتاب وغايَة الحُفّاظ والطُلاّب**» وتُعْرَف «**بالسخاوية**» مطلعها:

قال السخاويُّ علي ناظماً ... كان له الله العظيمُ راحِماً

طُبعت في إسطنبول عام 1306هـ/ 1888م ولها طبعات أخرى، وشرحها عبد الله الشريف المصري (ق 12 هـ) في «**الحاوي بشرح منظومة السخاوي**» مخطوط في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية .209

وممَّن صنّف في توجيهه الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت 500 هـ) في كتابه: «**البرهان في توجيه متشابه القرآن**» طبع بعنوان: «**أسرار التكرار في القرآن**»! بتحقيق عبد القادر أحمد عطا، القاهرة، دار الاعتصام 1394هـ/ 1974م.

ومنهم محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606 هـ) وله: «**دُرَّة التنزيل وغرَّة التأويل في المتشابه**» يوجد منه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية. ومنهم أبو جعفر ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ) في كتاب هو أوسعها سمّاه «**ملاك التأويل القاطع لذي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من أي التنزيل**» طبع بتحقيق سعيد الفلاح، بدار الغرب الإسلامي، بيروت 1403هـ/ 1983م، 2ج.

3 ــ علم مَنْطُوقُ القرآنِ ومَفْهومُه(*)

«القرآن يفسّر بعضه بعضاً».

يُردّد المفسرون هذه العبارة كلما وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحاً بمقارنتها بآية أخرى. وإنّ لهم أن ينهجوا في تأويل القرآن هذا المنهج؛ لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقّة والإحاطة والشمول، فقلما نجد فيه عاماً أو مُطلقاً أو مُجملاً ينبغي أن يُخصَّص أو يُقيَّد أو يفصَّل إلا تمّ له في موضع آخر ما ينبغي له من تخصيص أو تقييد أو تفصيل. ولقد كانت هذه الدلالة الشاملة جديرة أن توحي إلى العلماء وضع مصطلحات خاصة يُرمز بكل منها إلى السمة البارزة في كل فكرة يدعو إليها القرآن، وفي كل مشهد يصوّره، ومن هنا نشأ في الدراسات الإسلامية ما يسمى "بمنطوق القرآن ومفهومه"، وعامّه وخاصّه، ومُطْلَقه ومُقَيَّده، ومُجْمَله ومُفَصّله، وعُرّفت هذه المصطلحات وأمثالها، واستعرضت الشواهد الكثيرة الدالة عليها، وتباينت مناهج العلماء في دراستها، فمنهم من يبحثها على أساس تشريعي وهم الأصوليون، ومنهم من يبحثها على أساس منطقي وهم المُتكلّمون، وآخرون ـ ونحن في بحثنا هذا منهم ـ يؤثرون أن ينظروا إلى هذه المصطلحات من خلال الزاوية اللغوية والأدبية، ليتتبّعوا بلذة وشغف طريقة القرآن في الأداء والتعبير.

وأول ما ينبغي معرفته من هذه المصطلحات "منطوق القرآن ومفهومه". لأنهما يفصّلان أنواع الدلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى، فيشملان النص والظاهر والمُؤوّل، وفحوى الخطاب ولحنه، ومعاني الوصف والشرط والحصر. وسنوضح هذه المسألة «بنماذج» مختلفة نجمعها مما تفرق في ثنايا كتاب الله الحكيم.

قالوا في تعريف المنطوق: «إنه ما دل عليه اللفظ في محل النطق[1]» فلاحظوا في تعريفه أنّ التلفظ بالآية هو وحده منفذها إلى دلالتها. وذلك واضح جداً في «النص» الذي لا يحتمل اللفظ غيره، كدلالة قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ

(*) للتوسع انظر: **«البرهان»** 3/ 175، مسألة في أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، و**«الإتقان»** 2/ 52، و**«علم أصول الفقه»** لخلاف ص: 143، و**«مباحث في علوم القرآن»**، لصبحي الصالح ص: 299.

(1) **«الإتقان»** 2/ 52.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196]، فلا يمكن أن يحتمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التي نطقت بها الآية ونصت عليها. وحتى ما يسمى «بالظاهر» الذي يفيد معنىً مُتبادراً مع احتمال غيره احتمالاً مَرْجُوحاً، هو نوع من المنطوق؛ لأن دلالته على معناه المتبادر الراجح إنما تمّ في محل النطق نفسه؛ لأن الراجح من اللفظ المنطوق يُقدَّم على مرجوحه، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 145]. فالباغي يُطلق على معنيين، أحدهما مرجوح وهو الجاهل، والثاني راجح وهو الظالم، لأنّه هو الظاهر المتبادر من سياق الآية[1]. و«المؤوَّل» الذي يستحيل حمله على ظاهره فيصرف إلى معنى آخر يُعيِّنه السياق هو كذلك نوع من المنطوق. لأن ظاهره المستحيل مرجوح، ومعناه الذي يُعَيِّنه السياق راجح يكاد اللفظ نفسه ينطق به وينبىء عنه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] فإنّ حمل المعية على قرب الله بذاته مستحيل[2]، أما تأويلها بالقدرة والعلم والرعاية فمعنى صحيح يصل إلى النفس عن طريق اللفظ المنطوق ذاته من غير تعمُّل ولا اصطناع.

أما **المفهوم** فقد اصطلحوا على أنه «ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق»[3] فلاحظوا في تعريفه أن المعنى الذهني هو المنفذ الوحيد إلى دلالته. ويسمى مفهوم موافقة إذا وافق المنطوق بحكمه، و"**مفهوم مخالفة**" إذا لم يوافقه به[4]، ولكلٍّ من هذين المفهومين فروع تتعلق به، فمفهوم الموافقة إذا دلّ على المعنى الأولى بالأخذ والاعتبار سمي «فحوى الخطاب»، كدلالة ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[5] [الإسراء: 22]. على تحريم ضرب الوالدين لأنه أولى بالتحريم من قوْل: «أُفّ» لهما، وإذا دلّ على المعنى المساوي سمي «لحن الخطاب» كدلالة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10] على تحريم إحراق أموال اليتامى، لأن الإتلاف هو المقصود بالتحريم: سواء أحصل بالأكل أم بالإحراق، فكل منهما مساوٍ للآخر[6].

---

(1) «**البرهان**» 2/ 206.

(2) «**البرهان**» 2/ 206.

(3) «**الإتقان**» 2/ 53.

(4) «**الإتقان**» 2/ 53 أيضاً.

(5) انظر «**الإتقان**» 2/ 53.

(6) «**محاضرات في أصول الفقه**»، بدر المتولي عبد الباسط 1/ 181.

ومفهوم المخالفة على أنواع أهمها: مفهوم وصفي، ومفهوم شرطي، ومفهوم حصري[1].

ويتوسع في المفهوم الوصفي فلا يقتصر فيه على النعت، بل يدخل فيه كل ما أفاد معنى الوصفية كالحال والظرف والعدد[2].

مثال النَّعت: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحجرات: 6].

مفهومه أنه لا يجب علينا أن نتبيَّن أو نتثبَّت في نبإ غير الفاسق[3]، فإذا جاءنا من نُعِتَ بالعدالة بدلاً من الفسق بنبإ قَبِلْناه وسلّمنا به وحسّنّا الظنّ بخبره، ومن هنا استنبط العلماء وجوب قبول الخبر الذي يرويه الواحد العدل.

ومثال الحال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43] فإن الغاية من الآية التدرج في تحريم المسكرات على المؤمنين، فالصلاة لا تُقْرَب إلا في حال الصحو التي يعلم فيها المصلي ما يقول، وفي حال السكر لا يعي الإنسان شيئاً مما يفعل ويقول؛ ولذلك لا تجوز صلاة المؤمنين وهم سكارى.

ومثال الظرف: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 198] فقد عينت الآية الظرف المكاني الذي يذكر الله فيه ذكراً خاصاً، فلو ذكر الله في غير هذا المكان لكان تحصيلاً لشيء غير مطلوب[4]، والأمر التعبّدي لا يعلّل؛ لأن تنفيذه على الوجه الذي أراده الشارع دليل على طاعة الله، والتزيُّد فيه كالنقصان منه معصية ووضع للشيء في غير محله. ونقول مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: 197]، فهذا تعيين للظرف الزماني الذي يُحرِم فيه الحاج، بحيث لو وقع إحرامه في غير هذه الأشهر لكان غير صحيح[5].

ومثال العدد: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: 4]، فحدّ القذف ثمانون جلدة لا أكثر

(1) يذكرون عادة من أنواع مفهوم المخالفة خمسة: الصفة والشرط والغاية والعدد واللقب، ولكننا اقتصرنا على أهمها.
(2) «الإتقان» 2/ 53.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه
(5) المصدر نفسه.

ولا أقل[1].

وهذه الأمثلة الأربعة كلها شواهد على المفهوم الوصفي، مع شيء من الاتساع فيه.

ومثال المفهوم الشرطي: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾[2] [الطلاق: 6] فاشتراط الحمل يفيد أن غير الحاملات لا يجب الإنفاق عليهن»[3].

ومثال المفهوم الحصري: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] أي لا نعبد أحداً سواك ولا نستعين إلا بك.

وقد نص العلماء على أنه لا مفهوم للموصول وصلته في قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ [النساء: 22]. لأنّ الغالب أن يكون في حجور الأزواج[4] ولا مفهوم للشرطية في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[5] [النور: 34]، لأن إرادتهن التحصُّن موافقة للواقع، فلا يجوز إكراه الفتيات على البغاء إن مالت أنفسهن إلى الفحشاء ولم يردن التحصن، لأن الآية لا تشترط شرطاً وإنما توافق واقع الفتيات عندما يكون واقعاً سليماً ليس فيه شذوذ.

---

(1) «**الإتقان**» 2/ 53.

(2) انظر «**علم أصول الفقه**»، لعبد الوهاب خلاف ص: 179.

(3) واضح أن الزوجات غير الحاملات اللائي لا ينفق عليهن الأزواج، هن المستغنيات بما لديهن من المال، وفقاً لقاعدة الإسلام في تحقيق الكيان الاقتصادي المستقل للمرأة كتحقيقه للرجل سواء بسواء، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[النساء: 32]، أما في حال فقر المرأة فالرجل مسؤول عن الانفاق عليها، حاملاً كانت أو غير حامل، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: 34].

(4) «**الإتقان**» 2/ 54، وقارن «**بالبرهان**» 2/ 23.

(5) انظر «**الإتقان**» 2/ 54.

4 ــ علم عامُّ القُرآن وخاصُّه(*)

أ ـ نَقْصُد بعَامِّ القُرآن، اللفظ الذي نجده فيه دالاً ـ في أصل وضعه اللغوي ـ على استغراقه جميع الأفراد التي يصدق عليها معناه من غير حصر كَمّي ولا عَدَدِي، إذا قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: 20] فلفظ (رجل) ليس بعامّ، لأنه يدل على فرد واحد معين، وإذا قال: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: 15]، فلفظ (رجلين) ليس بعامّ كذلك لأنه يدل على شخصين معيَّنين، ومثل ذلك يقال في (رجال) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: 46]، وفي (أمة) في قوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: 113] وفي (ألف) في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، لأن هذه الألفاظ تدل على كمية محصورة أو عدد مُعَّين، ولا تدل على الشمول والاستغراق، فليس فيها إذن معنى العموم.

والقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، يعبِّر عن العام بالألفاظ التي وضعها العرب لإ دة الشمول والاستغراق، وقد دل الاستقراء على أن ألفاظ العموم[1] لا تخرج عن هذه التي سنذكرها تباعاً مع التمثيل من النصوص القرآنية:

أولاً: لفظ كل، وجميع، وكافة، وما في معناها، نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]، ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208].

ثانياً: أسماء الموصول إفراداً وتثنية وجمعاً، وتذكيراً وتأنيثاً، نحو ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: 17]، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: 16]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]، ﴿وَٱلَّتِى

(*) للتوسع انظر: «**البرهان**» للزركشي 3/ 175، و«**الإتقان**» للسيوطي 2/ 26، «**علم أصول الفقه**»، لخلاف ص: 213، و«**مباحث في علوم القرآن**»، لصبحي الصالح ص: 304.

(1) انظر ألفاظ العموم في «**الإتقان**» 2/ 26.

يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء: 15].

ثالثاً: المُعَّرف بأل تعريف الجنس مفرداً كان نحو ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، أو جمعاً نحو ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1].

رابعاً: الجمع المُعَّرف بالإضافة نحو ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: 11]، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103].

خامساً: أسماء الشرط، نحو ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68].

سادساً: النكرة في سياق النفي، نحو: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21].

وهذه الصيغ ـ بحسب الوضع اللغوي ـ تُعِّين العموم تعييناً حقيقياً ما لم يَرد مُخَصِّص لها. وموارد التخصيص كثيرة في القرآن حتى لقد تعذر على بعض العلماء أن يتصور عاماً باقياً على عمومه غير قابل للتخصيص[1].

وحاول السيوطي أن يستنبط من القرآن مثالاً على ذلك فوجده في الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ [النساء: 22]. إلخ، فالعموم مقصود في جميع المحارم المذكورة. ولم يكن الأمر محوجاً إلى هذا الجهد وذلك العناء، فالعامُّ الباقي على عمومه موجود في القرآن، ولكنه قليل بالنسبة إلى العام المراد به الخصوص. ومن أمثلة الباقي على عمومه قطعاً هذه السنن الإلٰهية التي لا تحتمل التخصيص ولا التبديل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [الأنعام: 38]، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49].

ومِنَ المُحَقَّق أن العام غالباً تصحبه قرينة تمنع بقاءه على عمومه، نحو ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 121] فلا يراد من أهل المدينة والأعراف إلا القادرون على الجهاد، أما العَجَزَةُ فلا يَشْمَلُهُم

(1) قال القاضي جلال الدين البلقيني: «ومثاله – أي العام الباقي على عمومه – عزيز: إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قد يخص منه غير المكلف، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ خص منه حالة الاضطرار، وخُصَّ منه السمك والجراد و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا﴾ خص منه العرايا «الإتقان» 1/ 26.

التعبير، لأن العقل يقضي بخروجهم، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] فلا يراد بالناس إلا المُكَلَّفون، أما الصبية والمجانين فالعقل يقضي كذلك بخروجهم. ومن العام الذي يراد به الخصوص ما يكون فيه الانتقال من العموم لغرض بلاغي يزيد التعبير جمالاً، والفكرة وضوحاً، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: 54] فالمقصود بالناس هنا إنسان واحد هو محمد رسول الله ﷺ، جمع ولم يفرد لأنه المثل الأعلى للإنسانية.

وإذا خاطب الله نبيه بمثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1] فخطابه لا يعمّ الأمة بطريق الدلالة الوضعية، ولكنه يعمها بدليل آخر هو وجوب الاقتداء به صلوات الله عليه، إلا إذا قام دليل على أن الحكم خاصٌّ به.

والمدح والذم لا يخرجان العام عن عمومه، مثال ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 35]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107].

ب ـ أما خاصُّ القرآن فهو اللفظ الموضوع للدلالة على فرد واحد مثل محمد، أو واحد بالنوع مثل رجل، أو على أفراد محصورة الكم والعدد: كاثنين، وعشرة، وألف، وقوم، وأمة، وطائفة، وفريق[1].

واللفظ القرآني الخاص قد يكون مطلقاً أو مقيداً، وأمراً أو نهياً.

فالخاص المُقيَّد كلفظ «مسفوحاً» في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعام: 145] فإن هذا اللفظ قيد لفظ (الدم) المطلق في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: 4] فقد حُمل هنا الخاص المطلق على الخاص المقيد[2].

وصيغة الأمر إذا وردت في لفظ قرآني خاصّ تفيد الإيجاب والإلزام[3]، نحو

(1) خلاف، **«علم أصول الفقه»** ص: 224.
(2) انظر خلاف، **«علم أصول الفقه»** ص: 226.
(3) خلاف **«علم أصول الفقه»** ص: 228.

﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 41]، لكنها قد تصرف إلى معنى آخر بقرينة، كالإباحة في قوله ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [الأعراف: 30] والإشعار بالعجز ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23] والتهديد ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [السجدة: 4] وتكرير طلب الشيء ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] أي كلما شهد أحدكم الشهر وجب عليه الصيام.

وصيغة النهي إذا وردت في لفظ قرآني خاص تفيد التحريم على وجه الإلزام[1]، نحو ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 188]، وقد تصرف إلى معنى آخر بقرينة، كالدعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 8]، أو الكراهة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101].

والحكم الذي يفيده الخاص بدلالته الحقيقية الوضعية حكم قطعي لا سبيل إلى الظن فيه، فإذا قال تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 92] فالحكم إطعام هؤلاء العشرة، بحيث لا يزاد عليهم ولا ينقص منهم؛ وذلك لأنّ الخاص الحقيقي لا يتصور فيه إلا الخصوص، بعكس العام فإنّه يتصور فيه دائماً ما يخصصه وقلما يبقى على عمومه.

---

(1) خلاف «علم أصول الفقه» ص: 230.

5 ــ علم مُجْمَل القُرآن ومُبَيَّنُه(*)

المجمل هو ما لم تتضح دلالته[1]، أو هو ـ بعبارة أوضح ـ ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه. وقد أنكر داود الظاهري (270 هـ)[2] وقوعه في القرآن[3]، والأصح وقوعه غير أنّه لا يبقى على إجماله ولا سيما في الأمور التي شرعها الله لعباده وأمرهم بها.

وفي إجمال النص ضرب من الغموض ينشأ من أحد الأسباب الآتية:

غرابة لفظه، «كالهَلوع» فقد فسّره السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[4] [المعارج: 19-21].

أو وقوع الاشتراك فيه، كلفظ «عسعس» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: 17] فإنه صالح لإفادة الإقبال والإدبار[5].

أو اختلاف مرجع الضمير، نحو ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]، يحتمل عود ضمير الفاعل في «يرفعه» إلى ما عاد عليه ضمير «إليه» وهو الله، ويحتمل عوده إلى العمل، والمعنى: أن العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم

(*) للتوسع انظر: **«البرهان»** للزركشي 2/ 176 و3/ 175، و**«الإتقان»** للسيوطي 2/ 30، و**«علم أصول الفقه»** لخلاف ص: 173، و**«مباحث في علوم القرآن»** لصبحي الصالح ص: 308.

(1) **«الإتقان»** 2/ 30.

(2) هو إمام أهل الظاهر داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، المعروف بالظاهري. إليه انتهت رياسة العلم ببغداد. توفي سنة 270هـ (و **«وفيات الأعيان»** 1/ 175).

(3) **«الإتقان»** 2/ 30.

(4) انظر **«البرهان»** 2/ 176.

(5) **«الإتقان»** 2/ 30.

الطيب، ويحتمل عوده إلى الكلم أي أن الكلم الطيّب - وهو التوحيد - يرفع العمل الصالح، لأنه لا يصح العمل إلّا مع الإيمان[1].

أو التقديم والتأخير، نحو ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129] أي: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً[2].

على أنّ هذا الغموض العارض الناشىء عن تردُّد المُجْمَل بين أمرين لا يلبث أن يزول، فإذا ورد عليه بيانه سُمّي مُفصَّلاً أو مُفَسّراً أو مُبَيّناً.

وتبيين المجمل إما أن يرد متّصلاً[3]، نحو: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فإنه فسّر مجمل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187]، إذ لولا من (الفجر) لبقي الكلام الأول على تردده واحتماله[4].

وإما أن يرد منفصلاً في آية أخرى[5]، نحو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: 22-23]، فإنه دل على جواز الرؤية، ويفسر به قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 102]، إذ كان متردداً بين نفي الرؤية أصلاً وبين نفي الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية[6].

وقد يقع تبيين المجمل بالسنة النبوية[7]، لأن القرآن والحديث أبداً «متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إنّ كلاً منهما يُخصّص عموم الآخر، ويُبيّن إجماله»[8].

وأكثر ما يكون في الألفاظ الشرعية المنقولة من معانيها اللغوية، «كالصلاة» فقد

(1) «الإتقان» 2/ 30
(2) «الإتقان» 2/ 31.
(3) المصدر نفسه.
(4) «البرهان» 2/ 215.
(5) «الإتقان» 2/ 31.
(6) «البرهان» 2/ 216.
(7) «الإتقان» 2/ 31.
(8) «البرهان» 2/ 129 النوع الأربعون في بيان معاضدة السنة للقرآن.

فسّر أقوالها وأفعالها الرسول ﷺ في قوله: «**صَلّوا كما رأيتموني أُصلي**». وكذلك الزكاة بيّن الرسول مقاديرها، والحج فصّل مناسكه[1].

ومن ذلك تفسيره عليه السلام «قرة أعين» في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]، فقد قال: «**فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتم عليه**»[2].

وفي بيان معاضدة السنة للقرآن وتفسيرها لإجماله ألف الإمام أبو الحكم بن برّجان (627 هـ)[3] كتابه المُسمَّى «**بالإرشاد في تفسير القرآن**»[4] وقال: «ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله، قَرُبَ أو بَعُدَ، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ، وعَمِه عَنْهُ مَنْ عَمِهَ»[5].

---

(1) «**الإتقان**» 2/ 131 وقارن «**بالبرهان**» 2/ 184.

(2) «**البرهان**» 2/ 130.

(3) هو الإمام عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللخمي الإشبيلي، المعروف بابن برجان، حامل لواء اللغة والنحو بالأندلس في عصره، توفي سنة 627 (انظر: «**بغية الوعاة**» 306 و«**شذرات الذهب**» 5/ 124).

(4) من هذا الكتاب نسخة مصورة بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية.

(5) «**البرهان**» 2/ 129.

6 ــ علم نَصُّ القرآنِ وظاهِرُه (*)

يراد **بالنصّ** ما دل بصيغته نفسها على ما يقصد أصلاً من سياقه[1]، كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: 275] فالمعنى المقصود أصالةً من هذا السياق القرآني نفي كل نوع من أنواع المماثلة بين البيع الحلال والربا الحرام.

وبدهي أنه يجب العمل به، لأنه من مقاصد القرآن التي تدل عليها عباراته دلالة واضحة صريحة.

أما **الظاهر** فيراد به ما يتبادر إلى الفهم من عبارته نفسها من غير حاجة إلى قرينة، ولكنّ مفهومه غير مقصود أصالةً من سياقه[2]، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: 3] فالمعنى المتبادر إلى الفهم من غير توقف على قرينة هو إباحة نكاح ما حلّ من النساء، ولكنه لم يقصد من السياق أصلاً، وإنما قُصد به أصلاً قصر العدد على أربع أو الاكتفاء بواحدة.

ويجب العمل بالظاهر أيضاً، لأن اللفظ لا يصرف عن المتبادر إلا بقرينة، فإذا وجدت هذه القرينة عُمل بغير المتبادر منه[3].

(*) للتوسع انظر: «**علم أصول الفقه**» لخلاف ص: 162 و163، و«**مباحث في علوم القرآن**» للصالح ص: 311.

(1) خلاف «**علم أصول الفقه**»، ص: 189 - 190.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

7 ــ علم وُجُوهُ القرآن ونَظَائِره (المشترك ودلالته)(*)

الوجوه: اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدة معانٍ، كلفظ «الأُمّة».

والنظائر كالألفاظ المتواطئة.

وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني، وضُعِّف؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمعُ في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظَ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة؛ فيجعلون الوجوهَ نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر، كالأمثال.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تصرّف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل؛ ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

وذكر مُقاتِل[1] (150 هـ) في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً: «**لا يكون الرجل فقيهاً كلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة**»[2].

(*) يدخل تحت عنوان «**الوجوه والنظائر**» ثلاثة أنواع من الكتب: الوجوه والنظائر في القرآن، والوجوه والنظائر اللغوية، والوجوه والنظائر الفقهية. للتوسُّع في هذا النوع انظر: «**الفهرست**» لابن النديم ص: 39، الكتب المؤلفة فيما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن، و227، 284، و«**البرهان**» للزركشي 1/ 190، و«**الإتقان**» للسيوطي 2/ 121، النوع التاسع والثلاثون، و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبرى 2/ 377، في المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة: في العلوم الشرعية، وهو مطلب فروع علم التفسير، و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 2/ 2001، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 567، ومقدمة كتاب «**نزهة الأعين النواظر**» لابن الجوزي كتبها المحقق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، و«**معجم مصنفات القرآن الكريم**» للدكتور علي شواخ 4/ 249 - 263.

(1) هو مُقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسّر، قال عنه الشافعي: «الناس عِيال على مقاتل بن سليمان في التفسير» ت 150 هـ. «الذهبي، السير 7/ 201» وكتابه «**الأشباه والنظائر في القرآن الكريم**» مطبوع، ويأتي في آخر هذا النوع.

(2) الحديث أخرجه من قول أبي الدرداء موقوفاً الحكيم الترمذي في **نوادر الأصول: 27، في فصل حقيقة الفقه وفضيلته**، وعزاه السيوطي في «**الإتقان**» 2/ 122 لابن عساكر في «**تاريخه**» عن أبي الدرداء موقوفاً.

فمنه «الهُدَى» سبعة عشر حرفاً:

1 ـ بمعنى البيان؛ كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

2 ـ وبمعنى الدين: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 73].

3 ـ وبمعنى الإيمان: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76].

4 ـ وبمعنى الداعي: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 73].

5 ـ وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: 38].

6 ـ وبمعنى المعرفة: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16].

7 ـ وبمعنى الرشاد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

8 ـ وبمعنى محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 159]. ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد: 32].

9 ـ وبمعنى القرآن: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: 23].

10 ـ وبمعنى التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾ [غافر: 53].

11 ـ وبمعنى الاسترجاع: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157]؛ ونظيرها في التغابن: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 11]، أي في المصيبة أنها من عند الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11] للاسترجاع.

12 ـ وبمعنى الحُجّة: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258] بعد قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: 258]، أي لا يهديهم إلى الحجة.

13 ـ وبمعنى التوحيد: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص: 57].

14 ـ وبمعنى السنة: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].

15 ـ وبمعنى الإصلاح: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 52].

16 ـ وبمعنى الإلهام: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50]، هدى كُلاً في معيشته.

17 ـ وبمعنى التوبة: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156] أي تُبنا.

وهذا كثير الأنواع.

وقال ابن فارس[1] في كتاب «**الأفراد**»: كلّ ما في كتاب الله من ذكر «الأَسَف» فمعناه الحزن؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 84] إلّا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: 55] فإن معناه «أغضبونا»؛ وأما قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: 150، وطه: 86] فقال ابن عباس: «مغتاظاً».

وكلّ ما في القرآن من ذكر «البروج» فإنها الكواكب؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [الآية: 1] إلا التي في سورة النساء: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [الآية: 78]، فإنها القصور الطوال، المرتفعة الحصينة.

وما في القرآن من ذكر «البَرّ» و«البَحْر» فإنه يراد بالبحر الماء، وبالبَرّ التراب اليابس، غير واحد في سورة الروم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 41] فإنه بمعنى البرية والعمران. وقال بعض علمائنا: ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ قَتْل ابن آدم أخاه، وفي ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ أخذُ الملكِ كلَّ سفينةٍ غصباً.

و«البخس» في القرآن النقص؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: 13] إلا حرفاً واحداً في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: 20]؛ فإن أهل التفسير قالوا: بخس: حرام.

وما في القرآن من ذكر «البعل» فهو الزوج؛ كقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: 228] إلا حرفاً واحداً في الصافات: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الآية: 125]، فإنّه أراد صَنَماً.

---

(1) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني. كان نحوياً على طريقة الكوفيين. كان الصاحب بن عبّاد يتتلمذ له، ويقول: «شيخنا ممن رزق حسن التصنيف وكان كريماً جواداً». من مصنفاته «**المجمل في اللغة**» و«**فقه اللغة**» و«**حلية الفقهاء**». توفي سنة 395، (السيوطي، **بغية الوعاة** 1/ 352)، ولم يصلنا كتابه، ولم تذكر المصادر عنه شيئاً.

وما في القرآن من ذكر «البكم» فهو الخرس عن الكلام بالإيمان؛ كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة: 18]، إنما أراد ﴿بُكْمٌ﴾ عن النطق بالتوحيد مع صحة ألسنتهم؛ إلا حرفين: أحدهما في سورة بني إسرائيل: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الآية: 97]، والثاني في سورة النحل: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [الآية: 76] فإنهما في هذين الموضعين: اللذان لا يقدران على الكلام.

وكل شيء في القرآن: «جثيًا» فمعناه «جميعاً» إلّا التي في سورة الشريعة: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28]، فإنه أراد تجثُو على ركبتيها.

وكل حرف في القرآن «حسبان» فهو من العدد، غير حرف في سورة الكهف ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 40]، فإنه بمعنى العذاب.

وكل ما في القرآن: «حسرة» فهو الندامة؛ كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: 30] إلا التي في سورة آل عمران: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 156] فإنه يعني به «حزنًا».

وكل شيء في القرآن: «الدّحض» و«الداحض» فمعناه الباطل؛ كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: 16]، إلا التي في سورة الصافات: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الآية: 141] فإنه أراد من المقروعين.

وكلّ حرفٍ في القرآن من «رِجز» فهو العذاب؛ كقوله تعالى في قصة بني إسرائيل: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: 134]، إلا في سورة المدثر: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [الآية: 5] فإنه يعني الصنم، فاجتنبوا عبادته.

وكل شيء في القرآن من «ريب» فهو شكّ، غير حرف واحد؛ وهو قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: 30] فإنه يعني حوادث الدهر.

وكل شيء في القرآن: «يرجمنكم» و«يَرجموكم» فهو القتك، غير التي في سورة مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [الآية: 46] يعني لأشتمنّك.

قلت: وقوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: 22]، أي ظناً، والرجم أيضاً: الطرد واللعن، ومنه قيل للشيطان: رجيم.

وكل شيء في القرآن من «زور» فهو الكذب؛ ويراد به الشرك؛ غير التي في المجادلة: ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [الآية: 2]، فإنه كذب [من] غير شرك.

وكلّ شيء في القرآن من «زكاة» فهو المال، غير التي في سورة مريم عليها السلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [الآية: 13] فإنه يعني «تعطفاً».

وكل شيء في القرآن مِنْ «زاغوا» ولا «تُزغْ» فإنه من «مالوا» ولا «تمل» غير واحد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الآية: 10] بمعنى «شخصت».

وكل شيء في القرآن من «يَسْخَرون» و«سَخَّرْنا» فإنه يراد به الاستهزاء، غير التي في سورة الزخرف: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية: 32]، فإنه أراد عوناً وخَدَماً.

وكل «سكينة» في القرآن طمأنينة في القلب، غير واحد في سورة البقرة: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 248]، فإنه يعني شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت في التابوت.

وكل شيء في القرآن من ذكر «**السعير**» فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: 47] فإنه العناد.

وكل شيء في القرآن من ذكر «شيطان» فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ [الآية: 14]؛ فإنه يريد كهنتهم؛ مثل كعب بن الأشرف[1] وحُيَيّ بن أخطب[2] وأبي ياسر أخيه[3].

وكل «شهيد» في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس، إلا التي في سورة البقرة قوله عز وجل: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [الآية: 23]، فإنه يريد شركاءكم.

---

(1) هو عَدُو الله كعب بن الأشرف، من طيء ثم بني نبهان، وأمُّهُ من بَني النضير، كان يهجو النبي ﷺ، ويحرّض المشركين عليه، فأمر النبي ﷺ بقتله (الطبري، **تاريخ الأمم** 2/ 487).

(2) (3) هما عدوّا الله: حيي بن أخطب، كان ممّن يحرّض المشركين على المسلمين وهو الذي أوعز لنفر من قومه اليهود بإلقاء حجر كبير على النبي ﷺ وهو مستند إلى جدار أحد البيوت. وأخوه أبو ياسر كان من أعداء النبي ﷺ أيضاً. عن ابن عبّاس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر ابن أخطب من أشد اليهود للعرب حسداً، إذ خصَّهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهِدَين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ [البقرة: 109] (ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** 1/ 158).

وكل ما في القرآن من «أصحاب النار» فهم أهل النار إلا قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: 31] فإنه يريد خَزَنَتها.

وكل «**صلاة**» في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج: 40]، فإنه يريد بيوت عبادتهم.

وكل «**صمم**» في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان، غير واحد في بني إسرائيل، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97]، معناه لا يسمعون شيئاً.

وكلّ «**عذاب**» في القرآن فهو التعذيب إلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [النور: 2]، فإنه يريد الضرب.

و«**القانتون**»: المطيعون، لكن قوله عَزَّوَجَلَّ في البقرة: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الآية: 116] معناه «مُقِرُّون»، وكذلك في سورة الروم: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الآية: 26]، يعني مُقِرُّون بالعبودية.

وكل «**كنز**» في القرآن فهو المال إلا الذي في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الآية: 82] فإنه أراد صحفاً وعلماً.

وكل «**مصباح**» في القرآن فهو الكوكب إلا الذي في سورة النور: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [الآية: 35]، فإنه السراج نفسه.

«**النكاح**» في القرآن: التزوج؛ إلا قوله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء: 6]، فإنه يعني الحُلم.

«**النبأ**» و«**الأنباء**» في القرآن: الأخبار؛ إلا قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: 66]، فإنه بمعنى الحُجَج.

«**الورود**» في القرآن: الدخول، إلا في القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 23]، يعني هجم عليه ولم يدخله.

وكل شيء في القرآن من ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] يعني عن العمل إلا التي في سورة النساء [الصغرى] ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: 7]، يعني النفقة.

وكل شيء في القرآن من «**يأس**» فهو القنوط، إلا التي في الرعد ﴿أَفَلَمْ يَأْيَئِسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: 31] أي ألم يعلموا. قال ابن فارس[1]: أنشدني أبي، فارس ابن زكريا:

أقول لهم بالشِّعْبِ إذْ يَأْسِرُونَنِي ألم تَيْأَسُوا أني ابنُ فارسِ زَهْدَمِ[2]

قال الصاغاني[3]: البيت لسحيم بن وثيل اليربوعيّ[4].

وكل شيء في القرآن من ذكر «الصبر» محمود، إلا قوله ﷻ: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: 42]، و﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: 6]. **انتهى ما ذكره ابن فارس.**

وزاد غيره: كلُّ شيء في القرآن: «**لعلكم**» فهو بمعنى «**لكي**» غير واحد في الشعراء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الآية: 129] **فإنه للتشبيه؛ أي كأنكم.**

وكل شيء في القرآن: «أقسطوا» فهو بمعنى العدل، إلا واحداً في سورة الجن: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الآية: 15]. **يعني العادلين الذين يعدلون به غيره؛ هذا باعتبار صورة اللفظ، وإلا فمادة الرباعي تخالف مادة الثلاثي.**

وكل «**كسف**» في القرآن يعني جانباً من السماء، غير واحد في سورة الروم: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الآية: 48] **يعني السحاب قطعاً.**

وكل «**ماء معين**» فالمراد به الماء الجاري؛ غير الذي في سورة تبارك[5] [الآية: 30] **فإن المراد به الماء الظاهر الذي تناله الدلاء؛ وهي زمزم.**

---

(1) هو أحمد بن فارس بن زكريا، تقدّمت ترجمته ص: 197، والكلام له من أول هذا النوع.

(2) البيت ذكره ابن فارس في «**معجم مقاييس اللغة**» 6/ 154 في مادة (يأس) وليس في ديوان سحيم.

(3) هو أبو الفضل الصَّغاني أو الصاغاني الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الإمام رضي الدين ولد سنة 577. حامل لواء اللغة في زمانه. سمع من النظام المرغيناني. وكان يقول لأصحابه «**احفظوا غريب أبي عبيد فمن حفظه ملك ألف دينار**» له من التصانيف: «**مجمع البحرين في اللغة**» و«**التكملة على الصحاح**» وغيرها. مات سنة (605 هـ) (السيوطي «**بغية الوعاة**» 1/ 519).

(4) هو الشاعر سُحَيم بن وَثِيل الرياحي ثم اليربوعي، عدَّه ابن سلاَّم في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين (ابن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء** 174).

(5) وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: 30].

وكل شيء في القرآن «**لئلا**» فهو بمعنى «كيلا» غير واحد في الحديد: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 29]؛ **يعني لكم يعلم**.

وكل شيء في القرآن «من الظلمات إلى النور» فهو بمعنى الكفر والإيمان؛ غير واحد في أول الأنعام: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الآية: 1] **يعني ظلمة الليل ونور النهار**.

وكل «صوم» في القرآن فهو الصيام المعروف، إلا الذي في سورة مريم: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [الآية: 26] **يعني صمتاً**.

وذكر أبو عمرو الدانيّ (ت 444 هـ) في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163] أن المراد بالحضور هنا المشاهدة. قال: وهو بالظاء بمعنى المنع والتحويط، قال: ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضعٍ واحدٍ؛ وهو قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 31].

قيل: وكل شيء في القرآن: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ [الحاقة: 3] فقد أخبرنا به، وما فيه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الأحزاب: 63] فلم يخبرنا به؛ حكاه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**تفسيره**»[1] واستدرك بعضهم عليه موضعاً، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17].

وقيل: «**الإنفاق**» حيث وقع في القرآن فهو الصدقة؛ إلا في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: 11]، **فإن المراد به المهر؛ وهي صدقةٌ في الأصل؛ تصدَّق الله بها على النساء**.

التصنيف فيه:

1 ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: لمقاتِل بن سليمان (ت 150 هـ) طُبع بتحقيق عبد الله محمود شحاتة، بالهيئة المصرية العامة 1395هـ/ 1975م.

---

(1) «**تفسير القرآن**» للبخاري، مخطوط في الإسكوريال أول (1255) وجاء في إسكوريال ثاني (1260) أن هذا الكتاب قطعة من تفسير مجهول مؤلفه، على حين توجد نسخة من تفسير القرآن للبخاري في باريس أول 242 - 245، ويوجد تفسير سورتي الأنبياء والفتح في الجزائر أول 1688، 3 (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي بالعربية 3/ 179) وقد طُبع مؤخرا.

2 ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، أو (مصادر القرآن): لليزيدي إبراهيم بن يحيى ابن المبارك بن المغيرة (ت 225هـ) قيل: إنه ألفه في أكثر من 40 سنة. طبع بتحقيق عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، بدار الغرب الإسلامي في بيروت 1406هـ/ 1986م.

3 ـ نُزْهَة الأَعْيُن النواظِر في علم الوجوه والنظائر: لأبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت 597 هـ) طبع بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، بمؤسسة الرسالة، في بيروت 1404هـ/ 1986م.

4 ـ الوجوه والنظائر في القرآن: للدامغاني، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد، قاضي القضاة (ت 478هـ) طبع بتحقيق عبد العزيز سيد الأهل، بدار العلم للملايين في بيروت 1390هـ/ 1400هـ بعنوان «قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه النظائر».

5 ـ معترك الأقران في مشترك القرآن: للجلال السيوطي، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (ت 911 هـ) طبع بتحقيق علي محمد البجاوي، بدار الفكر العربي، في القاهرة 1389هـ / 1969م، ذكر في «**الإتقان**» في النوع الخاص بالوجوه والنظائر أنه أفرد في هذا النوع هذا الكتاب.

8 ــ عِلْمُ غَريبِ القُرآن(*)

تعريف الغريب:

الغريب لغة: هو البعيد عن أقاربه. أو المنفرد.

واصطلاحاً: ما وقع في القرآن من الألفاظ البعيدة عن الفهم.

سمي بذلك لبعده عن ظاهر الفهم، أو لأنه كالمنفرد عن الألفاظ الأخرى القريبة للفهم.

وسبب الغرابة قد يكون لقلّة استعمال الكلمة، أو لاستعمالها في كناية أو استعارة أو مجاز، أو لقلّة علم القارىء والسامع باللغة، وهو كثير جداً، وازداد كثرة باختلاطِ العرب بالعجم، وبُعْدِ العهدِ عن عصر الصحابة ﷺ.

أثر علم الغريب في التفسير:

معرفة هذا الفن أمر ضروري للمفسر. وإلّا فلا يحلّ له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى[1].

(*) للتوسع في هذا النوع انظر: «**الفهرست**» لابن النديم ص: 37، الكتب المؤلفة في غريب القرآن، و«**البرهان**» للزركشي 1/ 288، و«**الإتقان**» للسيوطي 2/ 3، النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه، و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري زادة 2/ 373، معرفة غريب القرآن، و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 2/ 1207، غريب القرآن، و«**إيضاح المكنون**» 2/ 146، غريب القرآن، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 502 علم معرفة غريب القرآن، و«**معجم الدراسات القرآنية**» لابتسام الصفار ص: 317 – 320، و«**معجم مصنّفات القرآن الكريم**» لعلي شواخ 4/ 290 – 296. وغريب **القرآن**، لفكري ياسين، مقال في مجلة الأزهر ع8، ج19، السنة 1367هـ، و«**غريب القرآن والحديث منذ نشأتهما حتى نهاية القرن 3 هـ**»، وهي دراسة لهناء جوانية قدمتها كرسالة ماجستير، جامعة دمشق عام 1983م، و«**علم غريب القرآن ونشأته وتطوره**» ليوسف المرعشلي، رسالة دكتوراه في الجامعة اليسوعية عام 1411هـ/ 1991م.

(1) «**البرهان**» 1/ 292، و«**الإتقان**» 2/ 5.

لكنا لم نقتصر في هذا الفصل على تفسير المعنى بالغريب، وفهم المفردات، بل وجدنا له فائدة أخرى جليلة، هي أثر هذا العلم في إبراز ثروة القرآن البلاغية، وأسرار إعجازه.

ومصدر هذا العلم الأساسيُّ هو لغة العرب، لذلك قرّروا: «أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة العربية وموضوعاتها، تفسيرُ شيء من كلام الله، ـ لأن الله تعالى أنزله، قرآناً عربياً ـ ولا يكفي في حقه تعلُّمُ اليسير منها، فقد يكون اللفظُ مُشْتَرَكاً وهو يعلم أحدَ المعنيين، والمرادُ المعنى الآخر..»[1].

ومن هنا توقف بعض الصحابة في تفسير بعض الكلمات، مثل توقُّف عمر بن الخطاب (23 هـ) في معنى «الأبّ» من قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 31].

قال الإمام مالك بن أنس (179 هـ): «لا أُوْتَى برجل يفسِّرُ كتابَ اللهِ غير عالمٍ بلغة العرب إلا جَعَلْتُه نَكَالاً».

وقال مجاهد بن جَبر الإمام التابعيُّ المفسِّر (104 هـ): «لا يحل لأحد يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر أن يتكلمَ في كتابِ الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[2].

ومن خير ما يُستعان به في تفسير الغريب أشعارُ العرب وكلامهم:

قال ابن عباس (68 هـ): «ما كنتُ أدري ما قولُه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89] حتى سمِعْتُ ابنةَ ذي يَزَنَ الحِمْيَري وهي تقول: «تعالَ أُفَاتِحْكَ» يعني أُقَاضِيك».

وقال أيضاً: «ما كنتُ أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيّان يَخْتَصِمانِ في بِئْرٍ، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، يعني ابْتَدَأْتُها»[3].

ولأشعار العرب أهمية خاصة في هذا الفن، قال أبو بكر بن الأنباري[4](ت 328 هـ): «قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشعر».

---

(1) «**البرهان**» 1/ 292.
(2) المصدر نفسه.
(3) المرجع السابق 293، و«**الإتقان**» 2/ 4 و5.
(4) كما نقل عنه في «**الإتقان**» 2/ 55.

ولِحَبْرِ المفسرين ابن عباس (68 هـ) اعتناءٌ كثير بالشعر في تفسير القرآن، نُقِلتْ عنه ثروة كبيرة في ذلك في مصادر التفسير، وأجمعُ ما رُوِيَ عنه في ذلك مسائل نافع ابن الأزرق (65 هـ) زعيم الأزارقة من الخوارج، أخرج بعضها ابنُ الأنباري (328 هـ) في كتاب «**الوقف والابتداء**»، والطبراني (360 هـ) في «**المعجم الكبير**»، وساقها السيوطي (911 هـ) بتمامها في كتاب الإتقان[1].

ومن أمثلة استشهاده بالشعر:

تفسيرُهُ قولَ الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37] قال: العِزون: الحَلَق الرِّقَاق، واستشهد ببيت عبيد بن الأبرص:

فجاءُوا يُهْرَعُون إليه حتى ... يكونوا حولَ مِنْبَرِهِ عِزينا

وفسَّر قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]: «الشِّرعَةُ: الدين، والمنهاج: الطريق». واستشهد بقول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

لقد نَطَق المأمونُ بالصدق والهُدى ... وبَيَّنَ للإسلام ديناً ومِنْهاجاً[2]

ونبه أئمة العلم على أمر ذي خطر، هو أنه: ينبغي العناية بتَدَبُّرِ الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار.

روى حَمْد بن محمد الخطّابي (388 هـ) عن أبي العالية رُفيع بنمِهران (90 هـ) أنه سُئِلَ عن معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5]، فقال: هو الذي ينصرفُ عن صلاته ولا يدري عن شَفْعٍ أو وِتْر. قال الحَسَن (110 هـ): مَهْ يا أبا العالية. ليس هكذا، بل الذين سَهَوْا عن ميقاتها حتى تفوتَهم، ألا ترى قولَه: «عن صلاتهم»!.

فلما لم يتدَبَّرْ أبو العالية حرف «في» و«عن» تنَبّه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذَّهابُ عن الوقت[3].

---

(1) 2/ 55 – 88. قال في آخرها: «**حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً**».
قلت: وقد قمت بتحقيقها كمتطلبات أطروحة دكتوراه، في الجامعة اليسوعية، بيروت، 1411هـ/ 1991م.
(2) «**الإتقان**» 2/ 56 – 57.
(3) «**البرهان**» 1/ 294 – 295.

وكذلك قال ابن قُتَيْبَةَ[1] (276 هـ) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف: 36]، إنه من عَشَوْتُ أعْشوا عَشْواً، إذا نظرتَ. وهو قول أبي عبيدة مَعْمَرِ بنِ المثنى (209 هـ) والأخْفَش. (215 هـ) ونقل قول الفَرّاء (207 هـ): «يُعْرِض عنه» ثم نقده، فقال: «ولا أرى القولَ إلا قولَ أبي عُبيدة، ولم أر أحداً يجيز، «عَشَوْتُ عن الشيء»: أعرضْتُ عنه، إنما يقال: «تعاشَيْتُ عن كذا»، أي تغافَلْتُ عنه كأني لم أره، ومثله تعامَيْتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النارِ» إذا استَدْلَلْتَ إليها ببصر ضعيف»... إلخ.

قال الزركشي (794 هـ): «وغلّطوه في ذلك، وإنما معناه يُعْرِض، وإنما غلط لأنه لم يفرقْ بين عشوْتُ إلى الشيء وعشَوْتُ عنه».

لذلك يجب على دارس التفسير ألّا يكتفي بظاهر اللغة، حتى ينظر إلى التركيب، ومقصد السياق، حتى لا يقع في الخطأ.

المؤلفات في غريب القرآن:

ولأهمية هذا العلم كثرت المؤلفات فيه، حتى جاوزت المائة[2]، ومعظمها يحمل في عنوانه عبارة «غريب القرآن».

وكانت في بادىء الأمر تكتفي بشرح الكلمات الغامضة، ثم أدخلوا عليها شيئاً من الإعراب، ونحوه، في كتب حملت اسم: معاني القرآن، ثم توسعوا وشرحوا كل مفردات القرآن تقريباً، لعموم الحاجة واتساعها، وأكثرها مُرَتّب على ترتيب ورودها في السور، وبعضها مرتب على نظام المعاجم، مثل كتاب: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ت 502 هـ).

ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع:

1 ـ إجابات ابن عباس (68 هـ) على أسئلة نافع ابن الأزرق (65 هـ): طبعت مستقلة بتحقيق إبراهيم السامرائي في 106 ص: عام 1389هـ/ 1969م، ببغداد.

---

(1) **«تفسير غريب القرآن»**: 397 – 398، وانظر **«معاني القرآن»** للفرّاء، وللأخفش.

(2) انظر إحصاءها مفصلاً في التعليق على **البرهان** للزركشي، تحقيقنا.

2 ـ **غريب القرآن**: لابن عباس (ت 68 هـ) رواية علي بن أبي طلحة (ت 143 هـ) ضمنها السيوطي في «**الإتقان**» 2/ 5 ـ 46 في النوع السادس والثلاثين في معرفة غريبه.

3 ـ **غريب القرآن**: لابن عباس رواية عطاء بن أبي رباح (ت 114 هـ) مخطوط في مكتبة عاطف أفندي بتركيا، رقم 2815/2 وفي برلين رقم 683 (ذكره بروكلمان 4/ 28 وسيزكين 1/ 182.

4 ـ **تفسير غريب القرآن**: لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 122 هـ) مخطوط في برلين رقم 10237 وفي ييل رقم 171، (سيزكين 2/ 289) ومخطوط في جامعة برنستن بأمريكا رقم 471 (**معجم الدراسات القرآنية 264**) ومخطوط في صنعاء (**مجلة معهد المخطوطات 1/ 201**).

5 ـ **غريب القرآن**: لأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت 141 هـ) ذكره ياقوت في (**معجم الأدباء** 1/ 35 والبغدادي في **الهدية** 1/ 1 وسيزكين 1/ 42).

6 ـ **غريب القرآن**: لمحمد بن السائب بن بشر، أبو النضر (ت 146 هـ) (كشف الظنون 2/ 1207).

7 ـ **معاني القرآن**: للرؤاسي محمد بن الحسن بن أبي سارة، أبو جعفر (ت 170 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

8 ـ **تفسير غريب القرآن**: للإمام مالك بن أنس الفقيه (ت 179 هـ) (**الأعلام** للزركلي 5/ 257).

9 ـ **غريب القرآن**: للكسائي علي بن حمزة (ت 189 هـ) (كشف الظنون 2/ 1730) وله أيضاً «معاني القرآن» (ذكره كحالة في **معجم المؤلفين** 7/ 84).

10 ـ **غريب القرآن**: لمؤرج بن عمرو السدوسي أبو فيد (ت 195 هـ) (**الفهرست** لابن النديم ص: 37 ، 54) ومنها: «**غريب القرآن**» لأبي جعفر بن المقرىء (عاش في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة) (ذكره سيزكين 1/ 203).

11 ـ **غريب القرآن**: للنضر بن شميل أبي الحسن البصري (ت 203) مخطوط في المتحف البريطاني أول: 821 (بروكلمان 2/ 139).

12 ـ معاني القرآن: لقطرب محمد بن المستنير (ت 206 هـ) (مفتاح السعادة 1/ 149).

13 ـ معاني القرآن: للفراء يحيى بن زياد (ت 207 هـ) طبع بتحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار في القاهرة عام 1375هـ / 1955م، في ثلاثة مجلدات.

14 ـ مجاز القرآن: لأبي عُبيدة، معمر بن المُثنى (ت 209 هـ) طُبع بتحقيق فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1375هـ / 1954م، 2ج.

15 ـ معاني القرآن: للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ) طبع بتحقيق فائز فارسي، في الكويت عام 1400 هـ/ 1971م.

16 ـ غريب القرآن: للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) (**بغية الوعاة** 2/ 113).

17 ـ غريب القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 223 هـ) طبع على هامش كتاب «**التيسير في علوم التفسير**» للديريني في القاهرة 1310 هـ/ 1892م.

18 ـ غريب القرآن: لمحمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ) (**الفهرست** 37 ، 78).

19 ـ غريب القرآن: لليزيدي عبد الله بن يحيى بن المبارك أبي عبد الرحمٰن (ت 237 هـ) طبع بتحقيق محمد سليم الحاج بعالم الكتب في بيروت سنة 1405هـ / 1985م، وطبع بتحقيق د. عبد الرزاق حسين بمؤسسة الرسالة في بيروت عام 1407هـ / 1987م.

20 ـ غريب القرآن: لمحمد بن عبد الله بن قادم البغدادي (**هدية العارفين** 2/ 15).

21 ـ غريب القرآن: لمحمد بن الحسن بن دينار الكوفي (ت 259هـ) (الفهرست ص: 37).

22 ـ تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) طبع بتحقيق سيّد صقر بمطبعة عيسى البابي الحلبي في القاهرة 1378هـ / 1985م.

23 ـ معاني القرآن: لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي (ت 282 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

24 ـ غريب القرآن: لأبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن يزيد (ت 291) (**معجم الأدباء** 2/ 152 ذكره ابن النديم في **الفهرست** ص: 81، باسم «**معاني القرآن**».

25 ـ معاني القرآن: لابن كيسان محمد بن أحمد (ت 299 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

26 ـ غريب القرآن: لأحمد بن محمد بن يزداد بن رستم أبي جعفر الطبري (توفي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري) (**الفهرست** ص: 65).

27 ـ ضياء القلوب: للمفضل بن سلمة بن عاصم (ت 290 هـ) (**الأعلام** للزركلي 7/ 279).

28 ـ غريب القرآن: للطبري أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ) (**الفهرست** ص: 37).

29 ـ معاني القرآن: لسلمة بن عاصم أبي محمد (ت 310 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

30 ـ معاني القرآن: لابن الخياط محمد بن أحمد بن منصور (ت 320هـ) (**كشف الظنون** 2/1730).

31 ـ غريب القرآن: لابن دريد محمد بن الحسن أبي بكر (ت 321 هـ) (**الفهرست** ص: 67).

32 ـ ما أغلق من غريب القرآن: لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت 322 هـ) (**الفهرست** 37).

33 ـ غريب القرآن: لنفطويه إبراهيم بن محمد (ت 323 هـ) (**الفهرست** ص: 90).

34 ـ نزهة القلوب في تفسير غريب كلام علام الغيوب: أو «**غريب القرآن**» لابن عزيز السجستاني، أبي بكر، محمد بن عزيز (ت 330 هـ) طبع بتحقيق يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، 1409هـ / 1989م.

35 ـ **غريب القرآن**: للعروضي أبي محمد، برزخ بن محمد (كان حياً سنة 336 هـ) (**الفهرست** 37).

36 ـ **معاني القرآن**: لابن النحاس أحمد بن محمد (ت 338 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

37 ـ **ياقوتة الصراط**: لِغُلام ثَعْلَب، أبي عمر، محمد بن عبد الواحد الزاهد (ت 345 هـ) ذكره ابن خير في فهرسته ص: 60.

38 ـ **غريب القرآن**: لأحمد بن كامل بن خلف (ت 350 هـ) (**الفهرست** 35).

39 ـ **الإرشاد في غريب القرآن**: لمحمد بن الحسن بن محمد أبي بكر النقاش الموصلي (ت 351 هـ) (**الفهرست** 36).

40 ـ **معاني القرآن**: لابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت 347 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1730).

41 ـ **غريب القرآن**: لإسحاق بن مسلمة بن وليد الأندلسي (ت 368 هـ) (**كشف الظنون** 2/ 1208).

42 ـ **كتاب الغريبين، غريب القرآن والحديث**: للهروي، أبي عبيد الرحمٰن حمد ابن محمد (ت 401 هـ) طبع بتحقيق محمود محمد الطناحي، بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، عام 1390هـ / 1970م، وصدر منه المجلد الأول فقط.

43 ـ **تفسير غريب القرآن وتأويله على الاختصار**: لابن صمادح التجيبي محمد ابن أحمد الأندلسي (ت 419 هـ) مخطوط في مكتبة ماردين بتركيا رقم 565 ب، (**معجم الدراسات القرآنية**، ص: 247).

44 ـ **غريب القرآن**: للمرزوقي أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت 421هـ)، مخطوط بالمدينة المنورة (بروكلمان 5/ 862).

45 ـ **تفسير المشكل من غريب القرآن**: لمكي بن أبي طالب القيرواني القيسي (ت 437 هـ) طبع بتحقيق هدى حسن الطويل بدار النور الإسلامي في بيروت عام 1408هـ / 1988م.

46 ـ العمدة في غريب القرآن: له أيضاً وقد اختصر به كتابه السابق طبع بتحقيق د. يوسف المرعشلي بمؤسسة الرسالة في بيروت عام 1401هـ / 1981م.

47 ـ غريب القرآن: للكفرطابي محمد بن يوسف (ت 453هـ) (**معجم الأدباء** 19/ 122).

48 ـ كتاب القُرْطَيْن: لمحمد بن أحمد بن مطرف الكناني (ت 454) جمع فيه بين كتابي «**غريب القرآن**» و«**مشكل القرآن**» لابن قتيبة، طبع بمطبعة الخانجي بالقاهرة 1355 هـ/ 1936م وأعيد طبعه مصوراً بدار المعرفة في بيروت.

49 ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني حسين بن محمد (ت 502هـ) طبع بهامش «**النهاية في غريب الحديث**»، لابن الأثير، القاهرة 1318هـ / 1900م.

9 ــ علم المُعَرَّب في القرآن(*)

وهو الألفاظ التي وقعت في القرآن من غير لغة العرب، كالفرس، والروم، والحبش...

وهذا موضوع خطير كَثُر في الكلامُ منذ القديم، وتعرّض له العلماء كثيراً في كتب علوم القرآن[1]، وكتب التفسير[2]، وكتب اللغة[3]، وغيرها[4]. وأُلِّفَت فيه كتب وبحوث مفردة[5].

(*) للتوسع في هذا النوع انظر: «**مقدمة تفسير الطبري**» 1/ 6، و«**الفهرست**» لابن النديم ص: 38، الكتب المؤلفة في لغات القرآن، و«**الصاحبي في فقه اللغة**» لأحمد بن فارس (طبعة السلفية) ص: 28 – 30، باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن، وأنه ليس في كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب. و«**فقه اللغة**» للثعالبي (طبعة البابي الحلبي) ص: 197، الباب التاسع والعشرون، فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية، و«**المعرَّب**» للجواليقي، و«**مقدمة تفسير ابن عطية**» 1/ 69، و«**فنون الأفنان**» لابن الجوزي ص: 341 – باب ذكر اللغات في القرآن، و**مقدمة تفسير القرطبي** 1/ 68، «المعرب في القرآن، و«**البرهان**» للزركشي 1/ 382، و«**الإتقان في علوم القرآن**» للسيوطي ص: 105 – 120، النوع الثامن والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة العرب، والمزهر في علوم اللغة له أيضاً، 1/ 268، النوع التاسع عشر و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 375، علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 508، علم معرفة ما وقع في القرآن من غير لغة العرب، و«**علوم القرآن الكريم**» للعتر ص: 259.

(1) انظر «**فنون الأفنان**»، لابن الجوزي ص: 341، تحقيق حسن ضياء الدين عتر، و«**البرهان**»: 1/ 287، و«**الإتقان**» 2/ 105.

(2) انظر« **مقدمة الطبري**» لتفسيره» 1/ 6 ومقدمة ابن عطية لتفسيره «**المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**» 57، و«**تفسير القرطبي**» 1/ 68.

(3) «**الصاحبي في فقه اللغة**»، لأحمد بن فارس: 28 – 30ط. السلفية. و«**فقه اللغة**»، للثعالبي: 197 ط. البابي الحلبي. و«**المزهر في علوم اللغة العربية**» للسيوطي 1/ 268.

(4) مثل «**الرسالة**» للإمام الشافعي 41 – 42.

(5) منها «**المعرّب**» للجواليقي وهو عام في القرآن وغيره، و«**المُهذب فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب**»، للسيوطي. وبحث «**نقاء القرآن الكريم من العجمية**» لحسن ضياء الدين عتر، بحث جامعي مُحَكَّم.

وقد جُمعت هذه الألفاظ فبلغت (115) نحو خمس عشرة ومائة كلمة، أحصاها السيوطي وتكلم عليها بإيجاز في كتابه: «**الإتقان في علوم القرآن**»[1].

يتصل هذا بغريب القرآن؛ لأنه لا بد من معرفته لتفسير القرآن الكريم فهو نوع من غريب القرآن.

نذكر منها هذه الأمثلة:

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: 31]: السُّرُر بالحَبَشية.

﴿ٱلطُّورَ﴾ [الطور: 1]: جبل[2] بالسُّريانية.

﴿وَطَفِقَا﴾ [الأعراف: 22] أي قَصدا بالرومية[3].

﴿ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنعام: 152] و ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ [الإسراء: 35]، العدل بالرومية[4].

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156]: تُبْنا بالعبرانية[5].

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: 104] بالفارسية[6].

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9]: اللوح بالرومية[7].

---

(1) 2/ 108 – 119. لكن في عدِّه لجملة منها في «**المُعرَّب**» انظر. مثل «**طه**» «**يس**» «**ن**» وغيرها مثل: ﴿ٱبْلَعِى﴾ [هود: 44] و﴿تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفاتحة: 1] و﴿شَطْرَ﴾ [البقرة: 144] و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255] و﴿مُنفَطِرٌ﴾ [المزمل: 18].

(2) انظر: «**اللغات في القرآن**» لابن عباس 10، و«**الصاحبي في فقه اللغة**» لابن فارس 60، و«**المعرب**» للجواليقي 221، و«**الإتقان**» للسيوطي 2/ 114، و«**المهذب**» له أيضاً 215.

(3) انظر: «**اللغات في القرآن**» 27، و«**الإتقان**» 2/ 114، و«**المهذب**» 215.

(4) انظر: «**الزينة في الكلمات الإسلامية**» لأبي حاتم 1/ 136، و«**المعرب**» 251، و«**الصاحبي**» 61، و«**الإتقان**» 2/ 115، و«**المهذب**» 218.

(5) انظر: «**اللغات في القرآن**» 28، و«**الإتقان**» 2/ 117، و«**المهذب**» 225.

(6) ذكر السيوطي في «**الإتقان**» 2/ 112: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بلغة الحبشة الرجل، وفي **المحتسب** لابن جني 2/ 67 ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الكتاب، وانظر «**المعرب**» 194، و«**المهذب**» 209.

(7) انظر: «**أمالي الزجاج**» 6، و«**الزينة**» 1/ 135، و«**اللغات في القرآن**» 35، و«**الإتقان**» 2/ 112، و«**المهذب**» 208.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: 29]: عكر الزيت بلسان أهل المغرب[1].

﴿سُندُسٍ﴾ [الكهف: 31]: الرقيق من الستر بالهندية[2].

﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: 31]: الغليظ بالفارسية بحذف القاف[3].

﴿سَرِيًّا﴾ [مريم: 24]: النهر الصغير باليونانية[4].

﴿طه﴾ [طه: 1]: أي طأ يا رجل بالعبرانية[5].

﴿يُصْهَرُ﴾ [الحج: 20]: أي ينضج بلسان أهل المغرب[6].

﴿سِينِينَ﴾ [التين: 2]: الحسن بالنبطية[7].

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: 35]: الكوة بالحبشية وقيل الزجاجة تسرج[8].

﴿دُرِّيٌّ﴾[9] [النور: 35]: المضيء بالحبشية.

﴿ٱلْيَمِّ﴾ [البقرة: 10]: المؤلم بالعبرانية[10].

﴿نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 53]: أي نضجه بلسان أهل المغرب[11].

﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ [ص: 7]: أي الأولى بالقبطية، والقبط يسمون الآخرة الأولى

---

(1) انظر «الإتقان» 2/ 117، و«المهذب» 224.
(2) انظر: «فقه اللغة» الثعالبي: 245، و«المعرب» 177، و«الإتقان» 2/ 113، و«المهذب» 211.
(3) انظر: «المعرب» للجواليقي: 15، و«الصاحبي» 59، و«الزينة» 1/ 78 و136، و«الإتقان» 2/ 109، و«المهذب» 199.
(4) انظر: «اللغات في القرآن» 36، و«الإتقان» 2/ 112، و«المهذب» 210.
(5) انظر «الصاحبي» 60، و«الإتقان» 2/ 114، و«المهذب» 214.
(6) انظر: «الإتقان» / 119، و«المهذب» 228.
(7) انظر: «المعرب» 198، و«الإتقان» 2/ 113، و«المهذب» 211.
(8) انظر: «الزينة» 1/ 137، و«المعرّب» 303، و«الإتقان» 2/ 116، و«المهذّب» 223.
(9) انظر: «الإتقان» 2/ 111، و«المهذب» 206.
(10) انظر: «الإتقان» 2/ 109، و«المهذب» 200.
(11) انظر: «الإتقان» 2/ 109، و«المهذب» 201.

والأولى الآخرة[1].

﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: 79]: أي أمامهم بالقبطية.

﴿ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: 136]: البحر، بالقبطية[2].

﴿بَطَآئِنُهَا﴾ [الرحمٰن: 54]: ظواهرها، بالقبطية[3].

﴿أَبًّا﴾ [عبس: 31]: الحشيش، بلغة أهل المغرب[4].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: 6] قال ابن عباس: «نشأ بلغة الحبشة: قام من الليل»[5].

﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: 28]: قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ضعفين بلغة الحبشة[6]».

﴿بِٱلْجِبْتِ﴾ [النساء: 51]: الشيطان، بلغة الحبشة، أو الساحر.

﴿جَهَنَّمَ﴾ [البقرة: 206]: قيل: فارسية وعبرانية: وقيل: أعجمية.

﴿سِجِّيلٍ﴾ [هود: 82]: بالفارسية، أوَّلُها حجارة وآخرها طين.

﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ [الكهف: 107]: بستان، الكرم، بالرومية.

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: 51]: الأسد، بالحبشية.

---

(1) انظر: «المهذب» 202.

(2) انظر: «المعرّب» 355، و«الإتقان» 2/ 119، و«المهذب» 229.

(3) انظر: «معترك الأقران» 1/ 620، و«الإتقان» 2/ 110، و«المهذب» 202.

(4) انظر: «المفردات» 7، و«الإتقان» 2/ 108، و«المهذب» 197.

(5) أخرجه ابن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل وقيام رمضان»: 14، والطبري في «التفسير» 29/ 81 و«الإتقان» 2/ 117، و«المهذب» 224 - 225.

(6) أخرجه الطبري في «التفسير» 27/ 141، وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» 6/ 178، وانظر «الصاحبي» 61، و«الزينة» 1/ 137، و«الإتقان» 2/ 116، و«المهذب» 221.

وقد اختلف في هذه القضية اختلافاً كثيراً، فأنكر جمهور العلماء أن يكون في القرآن شيء غير عربي؛ لأن الله تعالى أنزله بلغة العرب، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195].

واستدلوا بأن الله تعالى جعله معجزةً شاهدةً لنبيه ﷺ، وتحدى به العرب العرباء، وأفحم الفُصَحاء والبُلَغاء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لاحتجوا عليه، واعترضوا[1].

واستدلّ من قال بوقوع المُعَرَّب في القرآن بوجود ألفاظ فيه هي في لغات غير العرب، كالشواهد التي ذكرناها.

قالوا: إن القرآن حوى علوم الأولين والآخرين، ونَبَأ كلِّ شيء، فلا بُدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والأَلْسُن؛ لِيَتِمَّ إحاطتُه بكل شيء، فاخْتِيرَ له من كل لغة أعذَبَها، وأخفّها، وأكثرَها استعمالاً للعرب».

وأيضاً فإن النبي ﷺ مُرْسَل إلى كل أمة، فلا بُدّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإنْ كان أصله بلغة قومه هو.

وقد ذهب المُحَقّقون إلى التوفيق بين الرأيين، وسبق لذلك الإمام أبو عُبَيْد القاسمُ بن سَلاّم (ت 224 هـ)، وذلك أن الألفاظ أصولُها أعجمية، لكنها وقعت للعرب، فَعَرَّبَتْها بألسنتها، وحوَّلَتْها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فخاطبهم بها، لأنها صارت من لسانهم[2].

الكتب المؤلفة في هذا النوع:

كان الأدباء وعلماء اللغة يدرجون ما وقع منه في كتبهم ومعاجمهم، حتى جاء موهوب بن أحمد الجواليقي(ت 540 هـ)، وأفرد ما وقع منه في كلام العرب عامة في كتابه «المُعَّرب».

---

(1) «فنون الأفنان» 342، و«البرهان» 1/ 287، و«الإتقان» 2/ 105، وغيرها مما ذكرنا.

(2) «البرهان» 1/ 290، و«الإتقان» 2/ 108، وانظر «فنون الأفنان» 343 – 344. أورده مختصراً وفيه قوله: «فهذا القول يُصَدِّقُ الفريقين جميعاً».

ثم جاء السيوطي (ت 911 هـ)، فأفرد ما جاء منه في القرآن خاصة في كتاب «المُهذَّب»، فهو بذلك أول من وضع كتاباً مفرداً بهذا النوع، وللكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم 44 مجاميع ونشره عبد الله الجبوري في مجلة المورد العراقية، س 1، ع 1 ـ 2، ص: 97 ـ 126 (**معجم المنجد** 4/ 97) ثم طبعه مع رسائل أخرى في «**رسائل في الفقه واللغة**» بدار الغرب الإسلامي في بيروت عام 1402هـ / 1982م. كما حققه التهامي الراجي الهاشمي بجزء مستقلّ يقع في (275) صفحة ونشرته اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بمط. فضالة المحمدية بالمغرب، بدون تاريخ (**معجم المنجد** 5/ 87).

أثر علم الغريب والمفردات في كشف الإعجاز:

يحتاج المفسر إلى علم غريب القرآن كركن من عمله في التفسير، وكذلك يحتاج إلى التأمل في سائر مفردات القرآن أي ألفاظه وإن لم تكن غريبة بحسب الظاهر، لما عسى أن يكون قد ارتبط بها من مجاز أو ترجيح معنى على معنى أو غير ذلك، مما سبقت الإشارة إليه.

وإذا نظر المفسر البارع في فنون البلاغة المتذوق لجمال الكلام وأساليبه إلى غريب القرآن وسائر كلماته وألفاظه، بمنظار البلاغة وجمال الكلام، وجد فيها جمالاً وفصاحة، يصل بمداومة النظر فيهما إلى كشف إعجاز القرآن في كلماته ومفرداته، كما هو معجز في جُمَلِه وآياته.

وقد وقع لبعض الناس من قُدَامى ومُحدَثين خطأ في هذه المسألة، فزعموا أن الألفاظ متساوية كلُّها في الفصاحة، لأن العرب قد استعملتها جميعاً.

وقد خالف جمهورُ علماء البلاغة والنقد الأدبي هذه النظرة، ووسموها بالسُّقم والسطحية، حتى قال العلامة اللغوي الأديب ضياء الدين بن الأثير[1](ت 637 هـ): (وقد رأيْتُ جماعةً من الجُهّال إذا قيل لأحدهم: هذه اللفظةُ حسنة، وهذه قبيحة أنكر ذلك، وقال: كلُّ الألفاظ حسنٌ، والواضعُ لم يضع إلا حسناً.

(1) في كتابه «**المَثَل السائر في أدب الكاتب الشاعر**» ط. مصطفى الحلبي، تطرّق لهذه المسألة في مواضع متعددة، وانظر تفصيلاً لذلك في كتاب «**المعجزة الخالدة**» لحسن ضياء الدين عتر، ص: 201 – 203.

ومَنْ يبلُغ جهلُه إلى أن لا يفرق بين لفظة: «الغُصْن» ولفظة «العُسْلُوج»، وبين لفظة «المُدَامة» ولفظة «الإسفِنْط»، وبين لفظة «السيف» ولفظة «الخَنْشَلِيل»، وبين لفظة «الأسد» ولفظة «الفَدَوْكَس»، فلا ينبغي أنْ يُخاطَبَ بخطاب، ولا يُجاوَبَ بجواب، بل يُتْرَكُ وشأنُه، كما قيل: اتركوا الجاهل بجهله، ولو ألقى الجَعْرَ في رَحْلِه)[1].

وقد شهدَ أئمة العربية الأجِلاَّء، أن ألفاظ القرآن هي أفصح كلام العرب، وأعلاها جمالاً، وأُنساً، وبُعْداً عن وَحشيِّ الكلام، وحسبنا في هذا قول الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت502 هـ)، وقد مَخَر عُباب ألفاظ القرآن في كتابه «**المفردات في غريب القرآن**» فقال في مقدمته[2]:

«فألفاظُ القرآنِ هي لُبُّ كلام العرب وزُبْدَتُه» وواسطتُه وكرائمُهُ، وعليها اعتمادُ الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحِكَمِهم، وإليها مَفْزَعُ حُذَاق الشعراء والبُلَغاء في نظمهم ونَثْرِهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرِّعاتِ عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحُثالَة والتِّبْنِ بالإضافة إلى لُبُوب الحِنْطَة».

وقد عُنِيَ العلماء النُّقاد المتذوقون جمالَ الكلام بدراسةِ أثَرِ الكلمة في جمال الأسلوب، وأثرها في إعجاز القرآن، في قديم الزمان وحديثه، وأثبتوا إعجاز الكلمة القرآنية في موقعها[3].

نذكر مهماتٍ من ذلك على سبيل الإيجاز الشديد؛ فمن ذلك.

1 ـ حُسن اختيار ألفاظه ودقة أدائها:

واللغة العربيةُ واسعةُ الثروة اللفظية، حتى لا يحيط بها إلا نبيٌّ، فاستحضار أحسنِ لفظٍ وأنسبه يحتاج إلى اطلاع على جميع ثروتها، ثم استحضار جميع ما يلائم

---

(1) الجَعْر: القذَر. رحله: بيته.

(2) ص: 6. قوله: «**واسطته**» أي كواسطة العقد، أنفس شيء فيه. بالإضافة: أي بالنسبة والقياس إليها.

(3) نذكر من هذه الدراسات: «**المثل السائر**»، لابن الأثير، و«**إعجاز القرآن**»، للرافعي، و«**المعجزة الخالدة**» لحسن ضياء الدين عتر، أتى فيه بفصول قيّمة، فانظره، و«**جماليات المفردة القرآنية**»، وهو أوفى ما كُتِب، قد جمعَ بين نظريات القُدامَى والمحْدَثِين، ألّفه الدكتور أحمد ياسوف، فجاء كتاباً فريداً في بابه.

الموقع من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضارُ ذلك متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله، فلذلك كان القرآنُ أحسنَ الحديث.

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: 48] أحسنُ هنا من التعبير بـ «تقرأ»؛ لثقله بالهمزة، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2] أحسنُ مِن «لا شك فيه»، لثقل الإدغام، ولهذا كثرُ ذِكر الريب، ومنها ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ [آل عمران: 139] أحسنُ من: «ولا تضعفوا»؛ لِخِفَّتِه[1].

2 ـ تآلف الألفاظ مع المعاني:

وهو من أوجه إعجاز القرآن العامة، عُني به الباقلاني والجاحظ[2] وغيرهما. وهو كما قال الباقلاني: «علمٌ شريفُ المحل، عظيم المكان، . . . وهو أدقُّ من السّحر، وأهول من البحر، وأنتَ تحسِبُ أن وضعَ الصُّبْح في موضع الفَجرِ، يحسُنُ في كلِّ كلام، إلا أن يكونَ شعراً أو سَجْعاً، وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع وتَزِلُّ عن مكان لا تزل فيه اللفظة الأخرى، بل تتمكنُ فيه، وتضربُ بِجِرَانِها . . .».

وهذا الوجه مستوفى في كل القرآن، وفي كل آية منه، لا تحتاج إلى اختيار وانتقاء.

هذه سورة الفاتحة مثلاً: افتتحت بأفضل وأكمل الثناء الحسن الجميل على الله وأبلغه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2]، ولم تقل الشكر، ولا المدح، لأن الشكر يختص بجميل الفعال، والمدح يختص بجميل الخصال أي الصفات، فعبرت بـ «الحمد» فشملت معنى كل من المدح والشكر. ثم جاءت كلمة «الحمد» معرفة بأل، وهي هنا للاستغراق، فأفادت شمول كل حمد وكل شكر وكل مدح.

ثم أسندت الحمد لله تعالى بهذا الاسم «الله»، وهو الاسم الدال على الذات

(1) «**الإتقان**»، من أواخر النوع الرابع والستون: 4/ 22. وانظر «**المعجزة الخالدة**» 210 – 211.

(2) «**إعجاز القرآن**» للباقلاني: 280، و«**البيان والتبيين**» للجاحظ: 1/ 40. وانظر كتاب «**القرآن الكريم والدراسات الأدبية**» لنور الدين عتر: 178 – 179.

المشتمل على جميع الأسماء والصفات، فأشارت بذلك إلى كمالاته التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وهكذا إلى آخر السورة[1].

وهذه سورة البقرة افتتحَتْ بالإشارة إلى إعجاز القرآن وغاية عظمته: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 1-2] ، فرمز لإعجاز القرآن بهذه الحروف المقطعة، ثم أشار إلى غاية كماله وإعجازه باسم الإشارة: «ذلك» مع أن الإشارة في الأصل تكون للماديات المحسوسة، لتفيد غاية وضوح أمرِ القرآن وتَمَيُّزِه عن غيره كمال تَمَيُّز، وجاءت بلام البعد، لتفيدَ بُعْدَه أن تصل إليه طاقة البشر، وتأتيَ بمثله.

وزادت عظمةُ القرآن فعبّرت بـ «الكتاب» معرفاً بأل، فأفادت العبارة الحَصر، أي أنه لغاية كماله وعظمته صار كأنه الكتابُ الوحيد الذي يستحق أن يُسَمّى كتاباً... وهكذا إلى آخر السورة، وإلى آخر القرآن. حتى صارت كل كلمة في القرآن فريدة، في مكانها[2].

3 ـ التناغم الموسيقي:

وفي ذلك يقول الرافعي[3]: «لو تَدَبَّرتَ ألفاظ القرآن في نظمها رأيتَ حركاتها الصرفية، واللغوية تجري في الوضع والتركيب على غاية التآلف الصوتي، فَيُهَيِّء بعضُها لبعض، ويُسانِدُ بعضُها بعضاً، ولن تجدَها إلا مؤتلفةً مع أصواتِ الحروف مُساوِقَةً لها في النظم الموسيقي، حتى إنّ الحركةَ ربما كانت ثقيلةً لسبب ما، فإذا هي استُعْمِلَتْ في القرآن رأيتَ لها شأناً عجيباً، ورأيتَ أصواتَ الحروفِ والحركات قد مَهّدَتْ لها طريقاً في اللسان، فجاءت أعذبَ شيءٍ، وكانتْ مُتَمكِّنةً في موضعها غاية التمكن.

من ذلك لفظةُ: «النُّذُر» جمع نَذِير، فإنْ الضمةَ ثقيلةٌ فيها، لتواليها على النون والذال معاً، لكنها جاءت في آية: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: 36] في غاية الفصاحة، وجمالِ الموقع في حِسِّ السمع، وذلك بما سَبَقَها من القلقلةِ في دال

(1) انظر «**تفسير سورة الفاتحة**»: 98 وما بعد، و في «**تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز**»: 23 وما بعد.
(2) انظر «**القرآن الكريم والدراسات الأدبية**»: 271 وما بعد، ومصادر التفسير البلاغي مثل «**الكشاف**» للزمخشري و«**إرشاد العقل السليم**» لأبي السعود العمادي و«**روح المعاني**» للآلوسي وغيرها.
(3) بتصرف واختصار من كتابه **إعجاز القرآن**: 257 – 258.

«لقد» وطاء «بَطْشَتَنا»، والفَتَحاتِ المتوالية في «فَتَمارَوْا»، التي جَرَت على اللسان، ليكونَ ثقلُ الضمةِ خفيفاً عليه. وتأتي اللفظةُ متمكنةً في موضعها مُسْتَقِرَّةً في قرارها إلى أقصى غاية، مع أدائها المعنى المراد غاية الأداء».

4 ـ إفادة التصوير:

وذلك أن الكلمة القرآنية تقدم للقارىء صورة فنية، وتستقل برسم مشهد، أو نقل حركة، أو تشخيص فِكْرَةٍ، بل إنها تُقَدِّمُ لنا ما يسميه العصريون «التجسيم»، تجسيمَ المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات، لتزيد المعنى تمكناً من النفس وتأثيراً فيها[1].

ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في اليهود: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 93] فلننظر «تلك الصورة الساخرة الهازلة: صورة العِجل يُدْخَل في القلوب إدخالاً، ويُحْشرُ فيها حَشراً، حتى ليكاد يُنْسَى المعنى الذهني الذي جاءت به هذه الصورة المجسّمة لِتُؤَدِّيَه، وهو حبُّ اليهود الشديد لعباة العجل» الذي صُنِعَ لهم من الذهب.

واقرأ كذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: 11]: تأمل كلمة «حرف» ومعناه الطَرَف من الشيء، «إنّ الخيال ليكادُ يُجَسِّمُ هذا الحرف الذي يَعْبُدُ الله عليه هذا البعضُ من الناس، وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب المحسوسَ في وقفتهم، وهم يتأرْجَحُون بين الثبات والانقلاب».

5 ـ الإعجاز العلمي:

فقد جاءت عبارات القرآن الكريم عن القضايا الكونية بطريقة عجيبة تجعلها مفهومة عند العربي القديم، والعامي، لكنها تفيض بمعانٍ يكشفها التأمل تتناسب مع تقدم العلم، وظهور مزيد من الحقائق التي كانت مجهولةً، مما حَفَلَتْ به دراساتُ إعجاز القرآن العلمي.

---

(1) انظر كتاب **«من بلاغة القرآن»** للدكتور أحمد بدوي: 65، وراجع أمثلته بتوسع. وانظر **«علوم القرآن الكريم»** للعتر: 228 – 230 ففيه أمثلة مفيدة.

وللمفردة القرآنية دور كبير في هذا الباب العظيم، يطول استقصاؤه جداً، نكتفي ببعض الأمثلة منه:

فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الحجر: 22] فقوله: ﴿لَوَٰقِحَ﴾ فهمه المفسِّرُ القديم مجازاً عن تلقيح الرياح الأزهار أو جمعَ السُّحُبِ اجتماعَ الذكر بالأنثى. لكنَّ العلم الحديثَ قرر أنَّ السحابَ يحملُ شُحْنَة كهربائية، بَعْضُه سالبُ الشحنة وبعضه موجب، وأن الرياح تلقح السحب السالبة بالموجبة فينزل المطر. وهذا التفسير في غاية الدقة، وهو أليق بتناسب الجملة مع قوله بعدها: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الحجر: 22] لا سيما مع هذا العطف بحرف الفاء، التي تفيد الترابط.

وهكذا آياتُ القرآن المتعلقة بالكون، كلها شاهدٌ أنه تنزيلُ من يعلم «السِّرَّ في السمٰوات والأرض» تبارك وتعالى.

وغير ذلك كثير من دَوْرِ غريب القرآن، وكلماته، يزيد المتأملين فيه إيماناً، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109].

ويرحم الله ابن عطية[1] إذ قال: «وكتابُ الله لو نُزِعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد».

(1) «المحرّر الوجيز» 60 - 61.

10 ــ علم لغات القرآن(*)

ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

المعروف أنه نزل بلغة قريش. وحُكي عن أبي الأسود الدِّيلي (ت 69 هـ): «أنه نزل بلسان الكَعْبَيْن: كعب بن لؤي جدّ قريش، وكَعب بن عمرو؛ جَدّ خُزاعة، فقال له خالد بن سلمة (ت 132 هـ): إنما نزل بلسان قريش»[1].

وقال ابن عباس (ت68 هـ): «نزل بلسان قريش ولسان خُزاعة؛ وذلك أن الدار كانت واحدة»[2].

وقال أبو عُبَيْد (ت 224 هـ) في كتاب «**فضائل القرآن**» عن ابن عباس رضي الله عنهما (نزل بلغة الكَعْبَيْن: كعب قريش، وكعب خُزاعة قيل: وكعب ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة). قال أبو عبيد: (يعني أن خُزَاعة جِيرانُ قريش، فأخذوا بلغتهم)[3].

وأما الكَلْبي (ت 146 هـ) فإنه روى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزل

(*) للتوسع في هذا النوع انظر: «**الفهرست**» لابن النديم ص: 38، الكتب المؤلفة في لغات القرآن، و«**الصاحبي في فقه اللغة**» لأحمد بن فارس ص: 28 – 30، باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن، وأنه ليس في كتاب الله جل ثناؤه شيء بغير لغة العرب، و«**فنون الأفنان**» لابن الجوزي ص: 349 – 352، باب ذكر اللغات في القرآن، فصل كلمات في القرآن من لغات العرب، و«**الإتقان**» للسيوطي: 2/ 89 – 104، النوع السابع والثلاثون، فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز، و«**المزهر في علوم اللغة**» له أيضاً ص: 221 و255، النوعان العاشر والسادس عشر، و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 374، علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 508، علم معرفة ما وقع في القرآن من غير لغة الحجاز، ومقال «**لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب**» للراجي التهامي، نشر في مجلة دعوة الحق، س 13، ع 1، 1389هـ/ 1969م. و«**معجم الدراسات القرآنية**» للصفار ص: 31، و172 و443. و«**معجم مصنفات القرآن الكريم**» لعلي شواخ 4/ 179 – 186.

(1) أخرجه الطبري في «**التفسير**» 1/ 23.

(2) المصدر نفسه.

(3) انظر «**فضائل القرآن**» لأبي عبيد، ص: 340، باب لغات القرآن، ونقله عن أبي عُبيد ابنُ عبد البر في «**التمهيد**» 8/ 277.

القرآن على سبع لغات؛ منها خمس بلغة العَجُز من هَوازن». قال أبو عبيد: (العَجُزُ هم سعد بن بكر، وجشم[1]، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهذه القبائل هي التي يقال لها عُليا هوازن وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصحُ العرب عليا هوازن وسفلى تميم»؛ فهذه عُليا هوازن، وأما سفلى تميم فبنو دارم)[2].

وقال أبو ميسرة: بكل لسان، وقيل: إن فيه من كل لغات العرب؛ ولهذا قال الشافعي (ت 204 هـ) في «**الرسالة**»[3]: «لا نعلمُه يحيط باللغة إلا نبيّ» قال الصيرفي (ت 330 هـ)[4]: «يريد مَنْ بُعِث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به ـ قال ـ وقد فضَّل الفراءُ (ت207 هـ) لغة قريش على سائر اللغات؛ وزعم أنهم يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها، فصفا كلامُهم. وذكرَ قبح عنعنة تميم. وكسكسة ربيعة، وعجرفة[5] قيس. وذكر «أن عمر ﷺ قال: يا رسول الله؛ إنّك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه، ولنحنُ العرب حقاً، فقال رسول الله ﷺ: **إنّ ربي علّمني فتعلّمتُ، وأدّبني فتأدّبت**»[6] ـ قال الصيرفي ـ ولست أعرف إسنادَ هذا الحديث، وإن صحّ فقد دلّ على أن النبيّ ﷺ قد عرفَ ألسنة العرب».

وقال أبو عمر بن عبد البرّ (ت 463 هـ) في «**التمهيد**»[7]: «قولُ من قال: نزل بلغة قريش، معناه عندي: في الأغلب، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع[8] القراآت من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز. وقد روى الأعمش عن أبي

(1) زاد ابن فارس في «**الصاحبي**» 28 (ابن بكر).
(2) انظر «**تفسير الطبري**» 1/ 23، و«**الصاحبي**» لابن فارس: ص: 28.
(3) «**الرسالة**» ص: 42.
(4) هو محمد بن عبد الله، أبو بكر الصيرفي الشافعي، الأصولي، كان يقال: «إنه أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي تفقّه على ابن سريج. من تصانيفه «**شرح الرسالة**» ت 330 هـ (السبكي، «**طبقات الشافعية**» 2/ 169).
(5) وأورد هذه اللغات ابن فارس في كتاب «**الصاحبي**» ص: 24، باب اللغات المذمومة.
(6) هذا الحديث يروى عن علي ﷺ أخرجه العسكري في «**الأمثال**» وقال ابن الجوزي في «**الواهيات**» لا يصح «**كنز العمال 7/ 213 – 214**، الحديث 18673) ويُروى أيضاً عن أبي بكر ﷺ أخرجه ابن عساكر في «**تاريخه**» (**كنز العمال** 11/ 431، الحديث 32024) ويُروى عن ابن مسعود، أخرجه السمعاني في «**أدب الإملاء**» (**كنز العمال** 11/ 406، الحديث 31895).
(7) «**التمهيد**» 8/ 280.
(8) في «**التمهيد**» صحيح.

صالح عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرُف صار في عَجُز هوازن منها خمسة»[1] وقال أبو حاتم: خصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب، لقرب جوارهم من مولد النبي ﷺ، ومنزل الوحي؛ وإنما ربيعة ومضر أخوان قال: وأحبُّ الألفاظ واللغات إلينا أن تقرأ بها لغات قريش، ثم أدناهم من بطون مُضر».

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك (ت 672 هـ)[2]: «أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين؛ فمن القليل إدغام: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 4] في الحشر، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [البقرة: 217]، في قراءة غير نافع. وابن عامر؛ فإن الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة بني تميم ولهذا قلّ، والفَكّ لغة أهل الحجاز ولهذا كثر، نحو: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [البقرة: 217]، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ [البقرة: 282]، و﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ﴾ [نوح: 12] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ في النساء [115]، والأنفال [13]، ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: 63]، ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الحج: 15]، ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً﴾ [طه: 27]، و﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31]، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ [طه: 81].

قال: «وأجمع القُرَّاء على نَصْب ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: 157] لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع، وإن كان بنو تميم يتبعون؛ كما أجمعوا على نصب ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31]، لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين.

وزعم الزمخشري[3](ت538 هـ) أن قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65] أنه استثناء منقطع، جاء في لغة بني تميم» ثم نازعه في ذلك.

ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع:

1 ـ **«اللغات في القرآن»**: للصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت 68 هـ) رواية

---

(1) الأثر ذكره الطبري في **«تفسيره»** 1/ 23.

(2) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين الطائي الشافعي، إمام النحاة وحافظ اللغة أخذها عن غير واحد، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وكان إماماً في القراءات وعللها هذا مع ما هو عليه من الدين المتين. ت 672 هـ (السيوطي، **بغية الوعاة** 1/ 130).

(3) **«الكشاف»** 3/ 149 – 150.

أبي أحمد عبد الله بن الحسين السامري ابن حسنون (ت 386 هـ). طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد، بمطبعة الرسالة بالقاهرة عام 1366هـ / 1946م في (100 ص)، وأعاد المحقق طبعه بدار الكتاب الجديد ببيروت عام 1396هـ / 1972م.

2 ـ «**اللغات في القرآن**»: لمقاتل بن سليمان الأزدي (ت 150 هـ) ذكره سيزكين 1/ 62، وذكره الخطيب البغدادي في «**مشيخته**» المخطوط في الظاهرية 18 (126 أ)، ولعله «**وجوه حروف القرآن**» والمسمّى أيضاً «**الوجوه والنظائر في القرآن**» وقد طبع باسم «**الأشباه والنظائر**» بتحقيق عبد الله محمود شحاته في القاهرة عام 1395هـ / 1975م، وإذا صحّ كونه كذلك، فيلحق الكتاب بنوعه المتقدم في النوع السابع من هذا الباب ص: 195.

3 ـ «**لغات القرآن**»: للكلبي، هشام بن محمد (ت 204 هـ) ذكره ياقوت في **معجم الأدباء** 19/ 290.

4 ـ «**لغات القرآن**»: للهيثم بن عدي بن عبد الرحمٰن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي ت 207هـ (ذكره ابن النديم في **الفهرست**: 38).

5 ـ «**لغات القرآن**»: للفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) (ذكره ابن النديم).

6 ـ «**لغات القرآن**»: لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت 215 هـ) (ذكر ابن النديم).

7 ـ «**لغات القرآن**»: للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) (ذكره ابن النديم).

8 ـ **رسالة جليلة تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل**: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) وذكره السيوطي في «**الإتقان**» و«**المهذب**» باسم أبي القاسم. والكتاب مطبوع بهامش «**التيسير في التفسير**» للديريني على الحجر في القاهرة عام 1310 هـ / 1982م، وطبع بهامش «**تفسير القرآن العظيم للسيوطي**» بمطبعة عيسى البابي الحلبي في القاهرة عام 1345هـ / 1926م.

9 ـ «**لغات القرآن**»: للقطيعي محمد بن يحيى، (ت 235 هـ (ذكره ابن النديم).

10 ـ «**اللغات في القرآن**»: لابن دريد أبي بكر محمد (ت 321 هـ) (ذكره ابن النديم).

11 ـ «**لغات القرآن**»: لمحمد بن علي المظفر الوزان (توفي في أوائل القرن 5 هـ). مخطوط في تشستربتي: 4269 (**معجم الدراسات القرآنية**: 542).

12 ـ «**المحيط بلغات القرآن**»: للبيهقي. أحمد بن علي المعروف بأبي جعفر، (ت 544 هـ) (ذكره ياقوت في معجم الأدباء 4/ 50).

13 ـ «**الجامع الوجيز الخادم للغات الكتاب العزيز**»: للشمس الشامي، محمد بن يوسف بن علي (ت 942 هـ) (**شذرات الذهب** 8/ 250).

14 ـ «**شذور الذهب الإبريز في لغات الكتاب العزيز**»: لمحمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بدر بن إسرائيل اليمني (ت 1015 هـ) (ذكره البغدادي في **إيضاح المكنون** 2/ 42).

15 ـ «**نزهة الخاطر وسرور الناظر في بيان لغات القرآن**»: للطريحي فخر الدين ابن محمد بن علي (ت 1085هـ) مخطوط، منه نسخة بجامعة الملك سعود بالرياض رقم 92 (معجم مصنفات القرآن 4/ 186).

16 ـ «**لغات ألفاظ النظم الجليل**»: لمجهول. مخطوط بدار الكتب المصرية: 169.

17 ـ «**سبيكة الذهب الإبريز في فهرس مقاصد الكتاب العزيز في اللغات القرآنية**»: لعالم هندي: (ذكره البغدادي في **هدية العارفين** 2/ 4).

18 ـ «**شموس العرفان بلغة القرآن**»: لأبي السعود عباس (**معجم مصنفات القرآن** 4/ 183).

11 ــ علم المُبْهَمات في القرآن(*)

هو نحو المبهمات المصنَّفة في علوم الحديث، وكان من السَّلف من يَعتَني به. قال عكرمة[1]: «طلبتُ الَّذي (خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموتُ)، أربع عشرة سنة».

إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه؛ كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]. والعَجَبُ مِمَّن تَجَرّأ وقال: قيل إنهم قُرَيظة، وقيل: من الجن[2].

وله أسباب:

الأول: أن يكون أُبْهِمَ في موضع استَغْنَى ببيانه في آخرَ في سياق الآية، كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] بيّنه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: 17].

(*) للتوسع في هذا النوع انظر: «**البرهان**» للزركشي 1/ 242، «**الإتقان**» للسيوطي 4/ 79، النوع السبعون «**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 510، في الدوحة السادسة: العلوم الشرعية، الشعبة الثامنة، المطلب الثالث: في فروع علم التفسير، و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 2/ 1583، و«**أبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 510، و«**معجم الدراسات القرآنية**» للصفار، ص: 143، 199، 275، و«**معجم مصنفات القرآن الكريم**» 187 - 190.

(1) هو عكرمة بن خالد البربري، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس روى عن مولاه، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم. روى عنه إبراهيم النخعي، وجابر بن زيد، والشعبي وغيرهم. قيل لسعيد بن جبير: تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة. توفي سنة 107 (ابن حجر، **تهذيب التهذيب** 7/ 263)، وقوله أخرجه السهيلي في «**التعريف والإعلام**» ص: 44، والعبارة عنده: «طلبتُ اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته».

(2) قال القرطبي: «إلا أن يصح حديث جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ وهو قوله في هذه الآية «هم الجن». الجامع 8/ 38 والحديث أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده «ابن حجر، «**المطالب العالية**» 3/ 335 - 336، والهيثمي «مجمع الزوائد» 7/ 27).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]، (و) وبيّنه بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: 69][1].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]؛ والمراد آدم، والسياق بيّنه.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119]؛ والمراد بهم المهاجرين لقوله في الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 8]. وقد احتج بها الصِّدّيق على الأنصار يوم السقيفة فقال: نحنُ الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ـ أي تبعاً لنا ـ وإنما استحقّها دونهم لأنه الصِّديق الأكبر[2].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50] يعني مريم وعيسى، وقال ﴿ءَايَةً﴾ ولم يقل آيتين، وهما آيتان لأنهما قضية واحدة، وهي ولادتُها له من غير ذكر.

الثاني: أن يتعيّن لاشتهاره، كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35] ولم يقل حواء لأنه ليس غيرُها.

وكقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: 258]، **والمراد النُّمروذ[3] لأنه المرسل إليه**.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [يوسف: 21]، **والمراد العزيز[4]**.

---

(1) الـهيلي «**التعريف والإعلام**» (بتحقيق عبد أ، مهنا) ص: 17.

(2) الـهيلي «**التعريف والإعلام**» ص: 74، وحديث السقيفة أخرجه البخاري في **الصحيح** 12/ 144، كتاب الحدود (86) باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (31) الحديث (6830) وليس فيه ذكر الشاهد، وعزاه السيوطي في «**مفحمات الأقران**» ص: 53 لابن أبي حاتم.

(3) هو عَدوُّ الله نُمرُوذ بن كنعان بن كدش بن سام بن نوح. أحد الكافرين اللذين ملكا الدنيا مشارقها ومغاربها. أمّا الآخر فهو بُخْتَنصَر. وكان النُمرُوذ ملكاً في بابل ادّعى الألوهية زمن الخليل إبراهيم عليه السلام، ويقال إنّه مكث في المُلك مدّة أربعمائة سنة ممّا جعله يزداد في طغيانه وتكبّره إلى أن أهلكه الله بواسطة بعوضة على جبروته. (ابن كثير «**تفسير القرآن العظيم**» 1/ 320). وانظر «**التعريف والإعلام**» (بتحقيق مهنا ص: 30).

(4) هو عزيز مصر واسمه أطفير بن روحيب. كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الرَّيان بن الوليد، رجل من العماليق، واسم زوجة العزيز زليخا. اشترى العزيز يوسف عليه السلام فاعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21]. ابن =

وقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 27]، **والمراد قابيل وهابيل**[1].

وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25][2]. قالوا: وحيثما جاء في القرآن: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فقائلها النَّضر بنُ الحارث بن كلدة[3]، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس، وتعلم الأخبار ثم جاء، وكان يقول: أنا أحدِّثكم أحسن مما يحدثكم محمد، وإنما يحدثكم أساطير الأولين، وفيه نزل: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 93]. **وقتله النبيُّ ﷺ صبراً يوم بدر**[4].

وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: 108]، فإنه ترجَّحَ كونه مسجد قباء، بقوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: 108] لأنه أسس قبل مسجد المدينة، وحَدْس هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت؛ وكلاهما أُسِّسَ على هذا من أول يوم، أي من أول عام من الهجرة، وجاء في حديث[5] تفسيره بمسجد المدينة، وجُمِع بينهما بأن كليهما مراد الآية.

الثالث: قصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، ولهذا كان النبي ﷺ إذا

كثير، **«تفسير القرآن العظيم»** 2/ 490). وانظر **«التعريف والإعلام»** للسهيلي ص: 80.

(1) قابيل وهابيل هما ابنا آدم عليه السلام، كان يولَدُ لآدم عليه السلام في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوِّج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك إلا أن يقرِّبا قرباناً فمن تُقُبِّلَ منه فهي له فتُقبِّل من هابيل ولم يُتقبَّل من قابيل، فكان من أمرهما، ما قصَّه الله عزّ وجل في كتابه الكريم (ابن كثير **«تفسير القرآن العظيم»** 2/ 43) وانظر **«التعريف والإعلام»** للسهيلي ص: 49.

(2) انظر **«التعريف والإعلام»** للسهيلي ص: 53.

(3) هو عدو الله النضر بن الحارث بن كلدة، كان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكَّرَ فيه بالله وحذَّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: إنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلمَّ إليّ وهو الذي قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾. قُتِل يوم بدر على يد علي بن أبي طالب (ابن هشام **«السيرة النبوية»** 1/ 300).

(4) انظر **«التعريف والإعلام»**، للسهيلي ص: 73.

(5) أخرجه من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أحمد في **«المسند»** 3/ 8 وأخرجه الترمذي في **«سننه»** 5/ 280، كتاب تفسير القرآن (48)، باب سورة التوبة (10) الحديث (3099) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبي أنس وأخرجه النسائي في **«سننه»** 2/ 36 كتاب المساجد (8)، باب ذكر المسجد

بلغه عن قوم شيءٌ خَطَبَ فقال: «**ما بال رجال قالوا كذا**»، وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: 100]؛ قيل: هو مالك ابن الصَّيف[1].

وقوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـُٔلَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: 108]، والمراد هو رافع بن حُريملة ووهب بن زيد[2].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: 204][3].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: 44][4].

وقوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: 72][5].

الرابع: ألَّا يكون في تعيينه كبير فائدة؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: 259] والمراد بها بيت المَقْدِس[6].

الذي أُسِّس على التقوى (8) الحديث (697).

(1) هو عدو الله مالك بن الصيف كان من أعداء النبي ﷺ وهو الذي قال - حين بُعِثَ رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أُخِذَ عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه -: والله ما عُهِدَ إلينا في محمد عهدٌ وما أُخِذَ له عَلَيْنا من ميثاق. فأنزل الله فيه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100] (ابن هشام، «**السيرة النبوية**» 2/ 547). والأثر أخرجه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ابن جرير في «**تفسيره**» 1/ 351 وعزاه السيوطي لابن إسحاق، وابن أبي حاتم من رواية ابن عباس أيضاً «**الدر المنثور**» 1/ 94). وانظر «**التعريف والإعلام**» للسهيلي (بتحقيق مهنا) ص: 22.

(2) هما من أعداء النبي ﷺ رافع بن حريملة ووهب بن زيد أمَّا رافع فكان من يهود قينقاع والآخر من يهود قريظة حقدا على النبي ﷺ وعلى المسلمين أن خصَّهم الله من دونهم بالرسالة. قال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد! ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك» فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ [البقرة: 108] (ابن هشام، «**السيرة النبوية**» 2/ 548) والأثر أخرجه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، ابن جرير في «**تفسيره**» 1/ 385 وعزاه السيوطي لابن إسحاق وابن أبي حاتم من رواية ابن عباس أيضاً «**الدر المنثور**» 1/ 107، وانظر «**التعريف والإعلام**» للسهيلي (بتحقيق مهنا) ص: 22.

(3) انظر «**التعريف والإعلام**» للسهيلي، ص: 27.

(4) المصدر السابق: ص: 38.

(5) «**التعريف والإعلام**» للسهيلي، ص: 34.

(6) انظر: «**التعريف والإعلام**» للسهيلي (بتحقيق مهنا)، ص: 31.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: 163] والمراد أيْلة، وقيل: طبريّة[1].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ [يونس: 98] **والمراد نينَوَى**[2].

﴿أَيَّآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: 77] **قيل بُرْقة**[3].

فإن قيل ما الفائدة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: 74] قيل: آزر اسم صنم، وفي الكلام حذف، أي دع آزر؛ وقيل بل كلمة زجر؛ وقيل: بل هو اسم أبيه؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلَقُ على الجَدّ، فقال آزر لرفع المجاز[4].

الخامس: التنبيه على التعميم، وهو غيرُ خاص بخلاف ما لو عيَّن كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: 100]، قال عِكْرِمة: أقمت أربع عشرة سنة[5] أسأل حتى عرفته، هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتَّنعيم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: 274] قيل نزلت في علي رضي الله عنه، كان معه أربع دوانق، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سرًّا وآخر علانية.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: 4]، قيل نزلت في عَدِيّ بن حاتم[6]، كان له كلاب قد سمّاها[7] أعلام.

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: 22]، والمراد الصِّدِّيق[8].

---

(1) انظر «**التعريف والإعلام**» ص: 31.
(2) انظر «**التعريف والإعلام**» ص: 76.
(3) انظر: «**التعريف والإعلام**» ص: 105.
(4) المصدر نفسه: ص: 55.
(5) انظر: «**التعريف والإعلام**» ص: 43، وانظر «**الإصابة**» 2/ 204.
(6) هو عدي بن حاتم بن عبد الله.
(7) عبارة السهيلي: «وكان له كلاب قد سماها بأسماء قد ذُكرت في التفاسير»، انظر «**التعريف والإعلام**» ص: 47.
(8) المصدر السابق: ص: 122.

وكذلك ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: 33] يعني محمداً والذي ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: 33] أبا بكر ودخل في الآية كل مصدّق، ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33][1].

السابع: تحقيره بالوصف الناقص، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [النساء: 56]، وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3] والمراد فيها العاصي بن وائل[2].

وقوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: 6] والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط[3].

وأما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: 1] للتنبيه على (أن)[4] مآله للنار ذات اللّهب.

تنبيهات

الأول: قد يكون للشخص اسمان، فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكتة، فمنه قوله تعالى في خطاب الكتابيين: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5] ولم يُذْكَرُوا في القرآن إلا بهذا، دون «يا بني يعقوب»؛ وسرُّه أن القوم لما خُوطبوا بعبادة الله، وذُكِّرُوا بدين أسلافهم، موعظةً لهم وتنبيهاً من غفلتهم، سُمُّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن «إسرائيل» اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل، ولهذا لما دعا النبي ﷺ قوماً إلى الإسلام يقال

---

(1) «**التعريف والإعلام**» ص: 150.

(2) هو عدو الله العاصي بن وائل كان من المعاندين لرسول الله ﷺ وقد نزلت آيات تبشره بعذاب أليم لأنه كان من المستهزئين بالنبي ﷺ. وقد أورد ابن كثير في تفسيره. (عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلاً متيناً وكان لي على العاص بن وائل دَيْن فأتيته أتقاضاه منه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77] (ابن كثير، «**تفسير القرآن العظيم**» 3/ 142) وانظر «**التعريف والإعلام**» 187.

(3) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي أخو عثمان بن عفّان لأمه. أسلم الوليد وأخوه عمارة يوم الفتح. ولي الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص. وكان الوليد شجاعاً شاعراً جواداً. أقام بالرقة إلى أن مات وذلك في خلافة معاوية (ابن حجر، «**الإصابة في تمييز الصحابة**» 3/ 602)، وانظر «**التعريف والإعلام**» 160.

(4) انظر «**التعريف والإعلام**» ص: 188.

(5) كثر ورودها في القرآن الكريم، وأوّل موضع وردت فيه في سورة البقرة، الآية: 40.

لهم: «بنو عبد الله»، قال: «يا بني عبد الله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم»[1]، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية. ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيرَه به قال: يعقوب: وكان أول من إسرائيل، لأنها موهبةٌ تَعْقُب أخرى، وبشرى (عقب بها بشرى) فقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] وإن كان اسم يعقوب عبرانياً؛ لكن لفظه موافق للعربي، من العقب والتعقيب. فانظر مشاكلةَ الاسمين للمقامين فإنه من العجائب.

وكذلك حيث ذكر الله نوحاً سمّاه به، واسمه عبد الغفار، للتنبيه على كثرة نَوْحه على نفسه في طاعة ربه.

ومنه قوله تعالى حاكياً عن عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]، ولم يقل «محمد» لأنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربّه، فنبّأه وشرفه، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به[2].

ومنه أنّ مَدْين هم أصحابُ الأيكة، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85، هود: 84، العنكبوت: 36]، وحيث أخبر عن الأيكة (الشعراء: 176، الحجر: 78، صٓ: 13، قٓ: 14]، لم يقل «أخوهم». والحكمة فيه أنه لما عرّفهم[3] بالنسب، وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره، ولما عرّفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم، وأخرجه عنهم.

ومنه ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: 87]، فأضافه إلى الحوت والمراد يونس، وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [الآية: 48]، والإضافة «بذي» أشرف من الإضافة «بصاحب»، ولفظ «النون» أشرف من «الحوت»، ولذلك وجد في حروف التّهجّي، كقوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: 1]. وقد قيل: إنه قسم (وليس في الآخر ما يشرّفه كذلك)[4].

---

(1) أخرجه ابن إسحاق في «**السير والمغازي**» ص: 232، من رواية الزهري، باب قصة النبي ﷺ لما عرض نفسه على العرب، وأخرجه ابن هشام في «**السيرة**» 1/ 424، عن ابن إسحاق من رواية عبد الله بن حصين، باب عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل.

(2) انظر «**التعريف والإعلام**» للسهيلي ص: 169.

(3) انظر «**التعريف والإعلام**» ص: 78.

(4) وعبارة السهيلي كاملة: (وقد قيل: إن هذا قسم بالنون والقلم، وإن لم يكن قسماً فقد عظمه بعطف المقسم به عليه، وهو القلم، وهذا الاشتراك يشرف هذا الاسم. وليس في الاسم الآخر، وهو الحوت، ما يشرّفه =

ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [اللهب:1]، فعدل عن الاسم إلى الكنية؛ إما لاشتهاره بها، أو لقبح الاسم، فقد كان اسمه عبد العُزَّى[1].

واعلم أنه لم يُسَمّ الله قبيلةً من جميع قبائل العرب باسمها إلّا قريشاً؛ سمّاهم بذلك في القرآن، ليبقى على مرّ الدهور ذكرهم، فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: 1].

الثاني: أنه قد بالغ في الصفات للتنبيه على أنه يريد إنساناً بعينه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: 10-11]؛ قيل: إنه الأخنس ابن شُرَيق[2].

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1]؛ قيل: إنه أمية بن خَلَف[3]، كان يهمز النبي ﷺ.

الثالث: قيل: لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن[4] وسمّاها باسمها إلا مريم بنت عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال: إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنُون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحوه، فإذا ذكروا الإماء لم يكنُوا عنهنّ، ولم يصُونوا أسماءهنَّ عن الذِّكْر والتصريح بها. فلما قالت النصارى في مريم وفي ابنها ما قالت صرّح الله تعالى باسمها، ولم يُكنِّ عنها؛ تأكيداً للأمومّة والعبودية التي هي صفةٌ لها، وإجراءً للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها؛ ومع هذا فإن عيسى لا أب

كذلك). «**التعريف والإعلام**» ص: 113 - 114.

(1) «**التعريف والإعلام**» ص: 188.

(2) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي أبو ثعلبة، اسمه أبيّ، وإنما سمي الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل خنس الأخنس؛ ثم أسلم فكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر، «**الإصابة**» 1/ 39) وانظر «**التعريف والإعلام**» ص: 174.

(3) هو عدو الله أمية بن خلف بن وهب. كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزهُ ولَمَزَهُ، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: 1 - 9] ولما كان يوم بدر تمكن بلال من أمية فقتله (ابن هشام، «**السيرة النبوية**» 2/ 138) وانظر «**التعريف والإعلام**» ص: 185.

(4) السهيلي في «**التعريف والإعلام**»، ص: 109.

له، واعتقاد هذا واجبٌ، فإذا تكرّر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقادُه من نفي الأب عنه، وتنزيهه الأمّ الطاهرة عن مقالةِ اليهود لعنهم الله.

الرابع: وأما الرجال فذكر منهم كثيراً؛ وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11]، إنه الوليد بن المغيرة[1]، وقد سمّى الله زيداً[2] في سورة الأحزاب للتصريح بأنّه ليس بابن النبي ﷺ، وأضيف إلى ذلك ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ قيل: إنه كان يكتب للنبي ﷺ، وأنه المراد بقوله تعالى: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[3] [الأنبياء: 104].

ومن الكتب المصنّفة في علم مبهمات القرآن:

1 ـ «التعريف والإعلام بما أُبهِمَ في القرآن مِنَ الأسماء والأعلام»: لأبي القاسم السُّهَيْلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت 581 هـ) طبع في القاهرة 1352هـ / 1933م، وله طبعات أخرى.

2 ـ «البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن»: للزهري محمد بن أحمد بن سلمان (ت 617 هـ) (انظر كشف الظنون 1/ 136).

3 ـ «ذيل التعريف والإعلام»: لمحمد بن علي بن محمد البلنسي (ت 636 هـ) مخطوط بمكتبة الحرمين بمكة رقم 13.

---

(1) هو عدو الله الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، كان من كبار المعاندين لدين الله أحد رؤساء قريش. عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله، ثم أتاه أبو جهل لعنه الله إثر مقالته ليحرّضه على النبي ﷺ فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11] (ابن كثير، «**التفسير**» 4/ 472) وانظر «**التعريف والإعلام**» ص: 179.

(2) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي صحابي جليل، وهو الذي نزلتْ فيه الآية: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: 5] قال ابن عمر: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت الآية: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ ولم يقع في القرآن تسمية أحد باسمه إلا هو باتفاق. استشهد في غزوة مؤتة وهو ابن خمس وخمسين سنة» (ابن حجر، «**الإصابة**» 1/ 546).

(3) وهي بالجمع قراءة حفص وحمزة والكسائي، وبالإفراد قراءة الباقين (الداني، «**التيسير**» 155) ونقل السهيلي في «**التعريف والإعلام**» ص: 115، «السجل فيما ذكر محمد بن الحسن المقرىء عن جماعة من المفسرين قال: ملك في السماء الثالثة تُرفع إليه أعمال العباد. ترفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين، وكان من أعوانه.

4 ـ «**التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام**»: لابن عَسْكَر، محمد بن علي بن خضر الغَسّاني المالقي الأندلسي (ت 636 هـ) تلميذ السُهيلي. حققه حسين عبد الهادي محمد، كأطروحة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود، في الرياض 1404هـ / 1984م.

5 ـ «**التبيان لمبهمات القرآن**»: لابن جماعة، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي (ت 733 هـ) وهو مفقود وقد اختصره المؤلّف في كتاب آخر سمّاه:

6 ـ «**غرر البيان في مبهمات القرآن**»: وهو مخطوط بالأسكوريال رقم (1508) تفسير، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقم 21598 ـ 110 ق، ومنه نسختان بألمانيا الاتحادية، وحققه محمد بن صالح الفوزان كرسالة ماجستير حصل عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام 1403هـ / 1983م (أخبار التراث العربي 7/ 24) كما حققه عبد الغفار بدر الدين كرسالة ماجستير حصل عليها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1401هـ / 1981م (الأطروحات الإسلامية 1/ 17) ويقوم بتحقيقه د. عبد الجواد خلف من باكستان، كما يقوم بتحقيقه محمد هيثم عياش بألمانيا الاتحادية (انظر **معجم مصنّفات القرآن للشواخ** 4/ 189).

7 ـ «**الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام**» للحافظ ابن حجر العسقلاني (852هـ) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1/ 21.

8 ـ «**مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**»: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ) وقد طبع لأول مرة في ليدن بهولندا عام 1255هـ / 1839م، وطبع في مطبعة بولاق بالقاهرة، عام 1284هـ / 1867م في (74) صفحة، وطبع أيضاً في مصر ومعه «**شرح منظومة السجاعي في بيان الأنبياء المذكورين في القرآن**» عام 1309هـ / 1891م. وطبع أيضاً بمصر في المطبعة الميمنية عام 1309هـ / 1891م (**معجم المطبوعات العربية** لسركيس: 1084) وطبع أيضاً بالمكتبة المحمدية بالقاهرة (**معجم الدراسات القرآنية**: 199) وطبع أخيراً بتحقيق إياد خالد الطباع بمؤسسة الرسالة في بيروت عام 1406هـ / 1986م.

9 ـ «**مبهمات القرآن**»: لمؤلف مجهول. ومنه نسخة خطية بمكتبة جامع الباشا

بالموصل رقم 265 (انظر **معجم الدراسات القرآنية**: 334).

10 ـ «صلة الجمع وعائد التنزيل لموصول كتابي الإعلام والتكميل»: لمحمد بن علي الأوس المغربي (ت؟) وقد جمع فيه بين كتابي السهيلي وابن عسكر (**معجم مصنفات القرآن** 4/ 190).

11 ـ «غرائب القرآن ومشكلاته وبيان شأنه ونزول آياته ومعانيه وبعض لغاته وشرح مبهماته»: لمؤلف مجهول، وهو من كتب المكتبة الخديوية بمصر (ذكره البغدادي في **إيضاح المكنون** 2/ 143).

12 ـ «الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن»: لعبد الجواد خلف عبد الجواد صدر منه الجزء الأول في الباكستان عام 1404هـ / 1984م (**معجم مصنفات القرآن** 4/ 190).